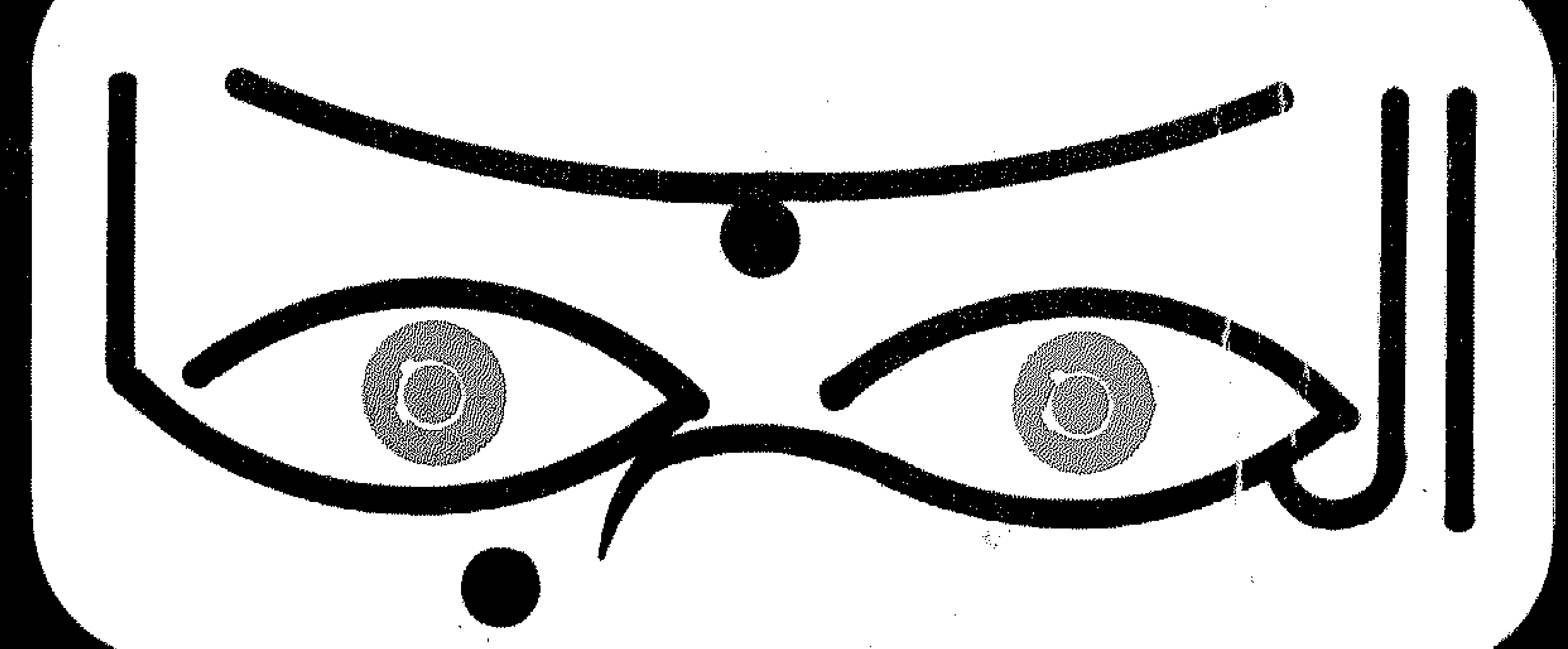




خلف الحجاب

موقف الجماعات الإسلامية من قضية المرأة

سناء المصري

اهداءات ٢٠٠٢

ا.د/ سامى خشبه

القاهرة

خلف الحجاب



الناشـــر

سينا للنشر

المدير المسئول

راوية عبد العظيم

١٨ شارع ضريح سعد ـ القصر العينى

ص . ب ٢٦٧٤ ـ القاهرة ـ ج . م . ع

تليفون : ٣٥٤٧١٧٨

خلـــف الحجـــاب

الطبعـــة الأولـــى

ينايـــــــر ١٩٨٩

الغـــلاف للفنـــان : عمـاد حليـم

الاشـــراف الفـــني : ايناس حسنى

المراجعة اللغوية : السيد عبدالمعطى



سينا للنشر

خلف الحجاب

موقف الجماعات الإسلامية من قضية المرأة

سناء المصري

الفصل الأول

دعوات قديمة تتجدد ....

أثارت الجماعات الإسلامية فى السنوات الأخيرة ضجة كبيرة حول قوانين الأحوال الشخصية وحجاب المرأة وعملها ...

هاجموا دعوات حركة تحرير المرأة وتاريخها ورموزها من النساء والرجال ...

تحدثوا عن الأزمات والمصاعب التى تعانى منها النساء والضغوط التى تحاصر الرجال من فقر وبطالة وإدعوا أن عمل النساء هو سبب الفقر والبطالة ..

وأعادوا طباعة كتب زعمائهم ومنظريهم الفكريين وعلى رأسها مؤلفات حسن البنا وسيد قطب وأبى الأعلى المودودى وأبى الحسن الندوى من المعاصرين ...

كما استدعوا من التراث ابن تيمية وابن القيم الجوزية وأبا حامد الغزالى وغيرهم ، بحجة أن أفكارهم الآتية إلينا من الزمن الغابر تحمل الحل لجميع مشاكلنا المعاصرة ... وبكل مايملكون من وسائل إعلام وإمكانيات مادية وإصرار على فرض أفكارهم والدفاع عنها ، نجحوا فى تفجير النزعات العدوانية لدى بعض الفئات من الجمهور ، وأثارت دعواتهم سحابة من القلق والتساؤل عن نوع الدور الاجتماعى الذى تريد الجماعات الإسلامية إسناده للنساء ...

وماذا تخفى دعاياتهم الإنشائية ... ؟

أى مصير ينتظر جموع النساء على أيديهم ... ؟

وإذا تتبعنا وضع المرأة فى أدبياتهم التى يفوز الإخوان المسلمون بنصيب الأسد فيها لأنها الجماعة الأم التى لازالت تفرخ بالاختلاف والانشقاق جماعات إسلامية جديدة ، فسنجد أن « حسن البنا » المرشد العام الأول والمؤسس والمنظر الفكرى منذ بداية تكوين الجماعة فى الإسماعيلية عام ١٩٢٨ م يشن الهجوم على حركة تحرير المرأة ومطالبة النساء بالمساواة ، ويهاجم الأفكار الداعية إلى استقلال النساء وخروجهن إلى الحياة العامة .

فسمى المشتركات فى المظاهرات بالسافرات ، كما سمى المدافعين عن حق المرأة فى الانتخاب بدعاة التفرنج وأصحاب الهوى ، وحارب مطلب حق الفتاة فى التعليم المتساوى حتى المراحل العليا ، كما نادى بوجوب التفريق بين مناهج تعليم البنات ومناهج تعليم الصبيان فى المراحل الأولى .

وعبر بوضوح عن أن واجب النساء هو القيام بالأعمال التقليدية فى تلبية رغبات الزوج ورعاية الأبناء ، وإذا تعلمت المرأة يكون ذلك فى حدود ، ولا تخرج إلى العمل إلا تحت ضغط الحاجة والفقر وبشروط تتحكم فى مظهرها العام وسلوكها الاجتماعى .

وبسبب طبيعة الدعوة مضت السنوات الأولى دون أن يفلح « البنا » فى تكوين فرع نسائى للأخوات ، حتى استطاع ذلك فى إبريل ١٩٣٣ م ، وهو زمن متأخر عن تكوين الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ ، وسمى هذا القسم فى أول الأمر : - « فرقة الأخوات المسلمات » ويتألف من زوجات وأخوات وبنات الإخوان ، وتكونت فرقة أخرى عن طريق الاتصال الشخصى فى بور سعيد ، ثم فرقة فى القاهرة برئاسة الحاجة « لبيبة أحمد » صاحبة جمعية النهضة النسائية ، (وظلت الجمعية ومجلتها فترة من الزمن لاتعلن عن صلتها بجماعة الإخوان المسلمين ، وساعدها على إخفاء تلك الصلة انحصار نشاط الجمعية فى الأعمال الخيرية)* مع تجنب الحياة السياسية التى يحرم الإخوان على النساء الانخراط فيها ... والملاحظة الغالبة على نشاط هذه الفرق جميعاً أنها كانت من الضعف بحيث يمكن إعتبارها الملاحق العائلية لجماعة الإخوان ، أنشئت بغرض إعداد أجيال تالية لهم عن طريق الدروس والمحاضرات والنصح الشخصى ، كما كانت تعانى من الجمود وغلبة الطابع التلقينى على أسلوب الاجتماعات برغم الجهد الضخم الذى بذله المرشد العام فى تكوينها ...

ويكشف محمود عبد الحليم ــ مؤرخ الإخوان ــ فى نصه التالى ماكانت تعانى منه تلك الفرق النسائية :-

(ولما كانت فرص الاجتماعات أمام الأخوات غير متاحة بالقدر الذى أتيحت به

* د . آمال يومى السبكى ــ الحركة النسائية فى مصر مابين الثورتين ١٩١٩ و ١٩٥٢ م الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م ص ١١٩ .

للإخوان فإن الأستاذ رحمه الله — يقصد حسن البنا — كان حريصاً على أن يجعل هذه الاجتماعات خالصة للتثقيف والتربية دون أن يقتطع من وقتها قليلا أو كثيرا فى الانشغال بالشئون الإدارية ، كما كان حريصاً على ألا يضيع جزء من جهود الأخوات فى الالتفات إلى المناصب الإدارية والإعداد لها والتطلع إليها مما قد لايتناسب مع طبيعة المجتمعات النسائية)* .

ومن المضحك ألا تجد فرق الأخوات المسلمات الوقت الذى تخدم به قضيتها ويمكنها من إدارة نشاطها إن كان لها نشاط ...! ! وأن يكون الهدف الأعظم لتجمعهن هو الاستماع إلى دروس يلقيها البنا .. ثم تنصرف كل واحدة منهن إلى شئونها الخاصة .. !! ولكن ماذنب هؤلاء النساء وتلك إرادة المرشد العام الذى يحرمهن من مجرد التطلع إلى المناصب الإدارية بحجة أنها لاتتناسب مع طبيعة المجتمعات النسائية .. !!

وحتى حينما نجح « البنا » فى إقناع زينب الغزالى — سواء بالضغط أو بغيره — بضم جمعية السيدات المسلمات التى تكونت فى القاهرة عام ١٩٣٦ م ، وظلت زمناً على استقلالها ، لتصبح رسمياً فرع الأخوات المسلمات ، لم يحقق هذا الفرع نجاحاً كبيراً .

وتروى زينب الغزالى فى مذكراتها كيفية ضم جمعيتها للإخوان فتقول :-

(حاولت فى آخر لقاء لنا — البنا وهى — فى دار السيدات المسلمات أن أخفف من غضبه بعهد آخذه على نفسى أن تكون السيدات المسلمات لبنة من لبنات الإخوان المسلمين ، على أن تظل باسمها واستقلالها بما يعود على الدعوة بفائدة أكبر . على أن هذا أيضاً لم يرضه عن الاندماج بديلاً)* .

وظلت دعوة « البنا » برغم جهوده الواضحة لاتجد رواجاً وسط النساء ، فى نفس الوقت الذى كانت دعوات تحرير المرأة تثير جدلاً واسعاً منذ انطلاقها مع بداية القرن العشرين ، وتحتفظ بجاذبيتها وملاءمتها للنهضة التى استدعت الكثير من التغيير فى بنية المجتمع المصرى .

---

* محمود عبد الحليم ـ الاخوان المسلمون ـ أحداث صنعت التاريخ ـ دار الدعوة ـ الجزء الأول ـ ١٩٨٣ م ص ٢٥٢

* زينب الغزالى ـ أيام من حياتى ـ دار الشروق .

ففى عام ١٩٢٨ م ــ وهو نفس العام الذى شهد تكون جماعة الإخوان المسلمين ــ بدأ التحاق المرأة بالجامعة المصرية :-

(التحقت خمس فتيات بكلية الطب ، وثمانى فتيات بكلية العلوم ، وأربع فتيات بكلية الآداب .)* ثم اقتحمت البنات كليات الحقوق والتجارة والهندسة والزراعة وغيرها بأعداد أخذت فى التزايد كل عام . واستمرت دعوات تحرير المرأة فى جذب أعداد متزايدة من فتيات البرجوازية الكبيرة والشرائح العليا من البرجوازية الصغيرة طوال العشرينيات والثلاثينيات ومابعدهما تحت شعار المطالبة بالمساواة فى التعليم والعمل والتخلص من أمراض الوضع المتخلف الذى ظل لزمن طويل يهمش مكانتهن الاجتماعية .

ومفهوم أن ترفض الفتاة التى حرمت طويلاً من كل الحقوق دعوة الحجاب والعودة إلى البيت ، لأنها كانت محجبة فعلاً وقعيدة البيت منذ زمن طويل وليس لها أى حقوق وتعانى من سيادة الرجل المطلقة عليها .

فكان لابد من البحث عن منافذ للخلاص ، لا الإقبال على دعوة تكرس نفس الوضع السيىء .

لقد كانت الفتاة المصرية تحلم بالتعليم ودخول الجامعة ، وتحقيق ذاتها فى العمل ، واختيار الرجل الذى ترتبط به بنفسها كما تبشرها تلك الروح الجديدة السارية فى المجتمع ...

بينما كانت دعوة البنا تحرم كل ذلك وتهاجم البنات اللاتى كسرن التقاليد ودخلن الجامعة سافرات بحجة أن المرأة :-

(ليست فى حاجة إلى التبحر فى اللغات المختلفة وليست فى حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة ، فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولاً وأخيراً .. وليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى دراسة الحقوق والقوانين ، وحسبها أن تعلم من ذلك مايحتاج إليه عامة الناس)* .

---

* منى ميخائيل ـ عرائس فى المولد ـ دراسات حول المرأة العربية . ترجمة محمد عوض خميس ـ دار العربى للطبع والنشر ١٩٨٧ م ص ٥٧ .

* حسن البنا ـ المرأة المسلمة ـ خرج أحاديثه وراجعه محمد ناصر الدين الألبانى دار الكتب السلفية بالقاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ .

ففى الوقت الذى اكتشفت فيه المرأة قدراتها الذهنية ، وبدأت تنهل من العلوم النظرية والعملية جاءت فتاوى البنا وكأنها أحجار الماضى تنزل مرة أخرى على رءوسهن ، لقد احتملت نساء هذا العصر السباقات إلى العلم ضراوة الهجوم الذى شنه الإخوان المسلمون ضد تعليمهن فى المراحل العليا ، وخصوصاً اللاتى رحن ينشدن المزيد من المعرفة مثل درية شفيق التى يقولُ عنها أحد كتابهم :-

(كانت من الرعيل الأول لطالبات الجامعة المصرية فى أول عهدها بنظام اختلاط الجنسين الذى تبناه أستاذ التغريب ـــ هكذا تسمى الجماعات لطفى السيد صاحب فكرة إنشاء الجامعة المصرية ـــ مشاركة فى التحدى لمشاعر الأساتذة والطلاب بإبراز فتنتها والمبالغة فى الظهور أمام الرجال والشباب فى الجامعة سافرة ... وبعد التخرج سافرت وحدها وعاشت دون محرم فى فرنسا للحصول على الدكتوراه)* .

فهم لايتحدثون عن تفوقها واهتمامها بالعلم ورغبتها فى النيل من المعارف الحديثة بل يتحدثون عن فتنتها الجسدية وإقامتها بمفردها فى باريس ... !! وزاد الهجوم على تلك المرأة الرائدة وعلى زميلاتها حينما راحت حركة تحرير المرأة تطالب بالمزيد من الحقوق المدنية والسياسية كحق الانتخاب ودخول البرلمان ، والمطالبة بإلغاء تعدد الزوجات واستبدال قوانين الأحوال الشخصية بقوانين مدنية حديثة ...

لقد كانت حركة تحرير المرأة هى القادرة على التأثير بقوتها الفكرية ونفوذها الاجتماعى المستند على قاعدة جماهيرية حية* فاستطاعت أن تنتزع المزيد من الحقوق للمرأة البرجوازية فى مجالات كثيرة ومنها حق العمل فى الطيران والبوليس فضلاً عن المحاماة ...

وظل جمهور حركة تحرير المرأة فى الاتساع ، حتى أصبح عدد مدارس البنات الحكومية فقط دون الخاصة عام ١٩٤٥ م يصل إلى ٢٣٢ مدرسة تضم ٤٤٣١٩

---

* محمود عبد الحكيم خيال ـ محمود محمد الجوهرى ـ الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ـ دار الدعوة ص ٢٥٦ .

* لمزيد من التفاصيل انظر : ز . إ . ليفين ـ ترجمة د . أنور محمد إبراهيم ـ تطور الفكر الاجتماعى العربى (١٩١٧ ـ ١٩٤٥) دار العالم الجديد ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨ م ص ١٩٦

طالبة ، وهو عدد كبير جداً بمقياس الزمن وطبيعة مجتمع لا يزال فى بداية عهده بتطور الصناعة الحديثة .

وإذا كانت حركة تحرير المرأة قد حققت نجاحا فى الحدود الطبقية البرجوازية ، فقد كانت دعوة « حسن البنا » فى الثلاثينيات تحرث فى البحر النسائى بالاتجاه إلى البرجوازية الصغيرة الأكثر عدداً والباحثة عن دور سياسى تحمى به مصالحها الاجتماعية وتغذى به حلم الصعود إلى مرتبة اجتماعية أعلى ...

وكانت دعوة « البنا » تجسيداً للجانب المحافظ فى تلك الحدود الطبقية ، الذى لم يستوعب بعد التغيير المطلوب إحداثه فى المجتمع ، ويشعر بالعداء الخفى لتلك التيارات الحديثة ويخشى شطحاتها الفكرية التى لو تركت على امتدادها لأحدثت خلخلة عميقة فى بنية المجتمع .

ولذلك كان حسن البنا يحاول أن يسحب البساط من تحت أقدام حركة تحرير المرأة ، بتوجيه جهوده لطلبة الجامعة والموظفين والتجار ، وكان يحاول من خلال أسرهم تكوين الرافد النسائى للإخوان المسلمين ، وكانت دعوته لإنشاء مدارس غير مختلطة تدرس فيها للبنات مدرسات ، وكان يركز جهوده للعناية بالبنات والمدرسات فى تلك الحدود .

(وكان يتعهد هذه المجموعة بالدروس الأسبوعية يلقيها بنفسه ولم يكن يتخلف عن هذه الدروس حتى فى حالة المرض .) * وحتى حينما بلغ عدد لجان الأخوات المسلمات خمسين لجنة فى عام ١٩٤٨ م ، وعدد العضوات خمسة آلاف عضو — كما يدعون — فإن هذا العدد لا يعكس بصدق حجم حركة الأخوات المسلمات الفعلى .

لأن هناك فرقا بين الأعداد الدفترية المسجلة على الورق وليس لها أى نشاط محسوس فى الحياة العامة ، وبين الأعداد الفاعلة المناضلة من أجل انتزاع حقوقها ... لقد كانت عندهم مشروعات كثيرة ورقية ومنها مشروع الحاجة لبيبة لمسح الأقاليم والأحياء وفتح عدد من المشاغل ودعوة نساء الأحياء الفقيرة للعمل فيها ... ولكن المشروع لم ينشط سوى فى حى السيدة زينب حيث كانت « الحاجة » تشرف عليه بنفسها* هذا بالإضافة إلى أن طبيعة هذا المشروع تهدف إلى

* محمود عبد الحليم — الإخوان المسلمون — أحداث صنعت التاريخ المصدر السابق ص ٢٥٤ .

* لمزيد من التفاصيل د . آمال بيومى كامل السبكى — الحركة النسائية فى مصر — المصدر السابق — ص ١١٩

تحقيق الربح ولا تتعلق بالجانب الفكرى للجماعة ، بحيث يمكن ادعاء أن المنضمات للمشغل هن عضوات جمعية الأخوات المسلمات ..

إن إخوان اليوم يستطيعون تضخيم عدد الأخوات المسلمات ، ولكنهم لايستطيعون ادعاء أى تأثير اجتماعى استطعن أن يحققنه طوال وجودهن فى الثلاثينيات والأربعينيات وهو العصر الذهبى لجماعة الإخوان المسلمين ...

ومقارنة بسيطة يمكن أن تأتى بأسطع النتائج :ـ

فبرغم أن مطالب الاتحاد النسائى كانت جديدة على المجتمع ، إلا أنها استطاعت مثلاً انتزاع حق تعليم ٤٤٣١٩ فتاة حتى التعليم الثانوى ، وكانت وراء كسر الاحتكار الرجالى للتعليم الجامعى ، والدفع ببعثات البنات إلى الجامعة ، والنضال من أجل دخول المرأة شتى التخصصات وإثارة الجدل حول قوانين الأحوال الشخصية والحقوق السياسية للنساء ، وانتزاع (حق تخصيص مقصورة للنساء فى البرلمان عام ١٩٢٥ م ، وأعقبتها الموافقة على تخصيص مقصورتين .. ثم أعلن أن البرلمان سيناقش بالفعل حق المرأة فى التصويت أثناء انعقاد جلساته . واحتجت ـــ تقصد المجلات النسائية ـــ بعنف لموقف الحكومة غير المشروع من حل البرلمان وإثارة الرعب بين طبقات الشعب باعتقالاتها السياسية الواسعة فى البلاد)*

إن حق دخول المرأة البرلمان ولو كمستمعة فقط دون ترشيح أو انتخاب أو أى مشاركة قانونية كما حدث فى ذلك الحين كان حلماً بعيد المنال .. لكن قوة ساعد الحركة النسائية واصطدامها بالحياة السياسية وهجومها على من يقف عقبة فى سبيل تحقيق ذلك ، جعلها تدخل البرلمان كمستمعة ... وتظل تناضل فى سبيل دخولها كنائبة ، الأمر الذى لم يتحقق إلا فى زمن متأخر كما سنرى فيما بعد ، بينما دور جمعية الأخوات المسلمات ظل مقصوراً على ماحدده « البنا » فى :ـ

(المعاونة فى حدود ظروف الأخوات المسلمات وجهودهن فى تحقيق البرنامج الإصلاحى الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين العامة .)* .

مع ملاحظة أن قوام جمعية الأخوات المسلمات كان يعتمد أساساً على زوجات

---

* د . آمال كامل بيومى السبكى ـ المصدر السابق ص ٥٣

* خيال ـ الجوهرى ـ المصدر السابق ص ٤٣٧

الإخوان وبناتهم وأخواتهم ، الأمر الذى يجعلنا نتساءل عن مدى فاعلية هؤلاء النسوة فى ظل النظام العقائدى الذى يؤكد تفوق الرجل على المرأة كما يتضح من حديث حسن البنا فى تذكرة الداعى :-

(المسلم مسئول عن أسرته . ومن واجبه أن يحافظ على صحتها وعقائدها وأخلاقها ، وأتعهد بأن أبث تعاليم الإسلام فى أفراد أسرتى ولا أدخل أبنائى مدرسة لاتحفظ عقائدهم وأخلاقهم ، وأقاطع كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والأندية التى تناوىء تعاليم الإسلام .)*

وإذا اعتبرنا البيت هو الخلية الأولى للمجتمع كما يقولون والرجل مسئولا عن أسرته مسئولية مطلقة حتى يعين لها ماذا تقرأ وكيف تفكر وتتصرف .. وهذا الرجل يتلقى أفكاره عن المرشد العام الذى يعتبر مسئولا عن أفراد جماعته فيمنح ويمنع ويحلل ويحرم ويُنَظِّر لهم الشاردة والواردة .. فيمكن أن ندرك أى نسق يحكم أفراد تلك الجماعات كما لو كانوا يعيشون فى دوائر مغلقة تحكمها عين الرجل الأب أو الزوج ، وعين المرشد العام وسوطه وأوامره ونواهيه ...

ولايذكر لنا التاريخ أى صلة نشأت بين الأخوات المسلمات وبين سائر الحركة النسائية على الرغم من فورانها فى ذلك الحين واشتداد حركتها وتأثيرها الواضح فى المجتمع ـــ اللهم إلا إذا اعتبرنا الهجوم الشديد يمكن أن يشكل صلة ـــ إن دور الجمعية لم تكن تحدده العضوات ، بل كان دورا يرسمه المرشد العام للجماعة ويراه دائما فى حدود المعاونة فى تحقيق البرنامج الأساسى للإخوان .

(مهمة الإشراف على لجان الأخوات المسلمات كانت مقصورة على المرشد العام حسن البنا بنفسه ، وله وحده الحق فى إرسال مندوب عنه يكون سكرتيراً للاتصال بين الأخوات وإدارة الإخوان المسلمين . ويضطلع أيضاً بمسئولية تنظيم الأعمال الإدارية بالقسم)* .

(ويعين المركز العام للإخوان الوعاظ والدعلة والموظفات بناء على اقتراح لجنة

---

* حسن البنا ـ تذكرة الداعى ـ مقال منشور بمجلة الاخوان الشهرية ـ العدد التاسع بدون تاريخ

* د . آمال بيومى السبكى ـ الحركة النسائية المصرية ـ المصدر السابق ص ١١٨ .

الإرشاد العامة للأخوات بعد تصديق مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين ومن حق مكتب الإرشاد إضافة أى شرط يراه من أجل صالح الجماعة)* .

وكانت قرارات البنا الإدارية لايمكن مراجعتها أو الاعتراض عليها من جانب العضوات ، حتى أن محمود الجوهرى سكرتير الأخوات المسلمات يروى فى كتابه :-

(وأذكر مرة أنى قدمت لفضيلته مذكرة أرجو فيها إعفائى من العمل بقسم الأخوات المسلمات لأتفرغ لبعض النشاط الإخوانى على اعتبار أن بقسم الأخوات المسلمات من العناصر مايسد مكانى ، فابتسم ابتسامته المشرقة وكتب على المذكرة بالمداد الأحمر هذه العبارة :-

الأستاذ محمود الجوهرى سكرتير الأخوات المسلمات حتى الممات ، ووقع بإمضائه وأعطاها لى ، ولم أملك وقتها إلا التسليم والرضا وأجبته حاضر يافندم ..)*

وهذا النص يوضح مدى انعدام الديمقراطية فى إدارة شئون الأخوات المسلمات وفى بنيتها التكوينية .. حيث القرارات لاتقبل النقاش والمناصب بالتعيين .. والمدى الزمنى لشغل الوظيفة مدى الحياة كما فى أشد النظم الأوتوقراطية رجعية .. وعلى الرغم من تأفف الرجل من العمل وسط الحريم ، إلا أن الأمر يأتى من الزعيم فينتهى كل شيء بصرف النظر عن رغبته شخصيا أو رغبة العضوات . وربما تكشف رسالة زينب الغزالى أبرز الأخوات المسلمات وأنشطهن عن مدى الانسحاق الذى يصبغ علاقتها هى شخصياً وعلاقة الأخوات المسلمات أمام المرشد العام :- .

(سيدى الإمام حسن البنا :-

زينب الغزالى الجبيلى تتقدم إليك اليوم وهى أمة عارية من كل شيء إلا من عبوديتها ، وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله ، وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذى يستطيع أن يبيع هذه الأمة بالثمن الذى يرضيه لدعوة الله تعالى ، فى انتظار أوامرك وتعليماتك سيدى الإمام ..)*

---

* د . آمال يومى السبكى ـ الحركة النسائية المصرية ـ المصدر السابق ص ١١٨ .

* خيال ـ الجوهرى ـ المصدر السابق ص ٤٣٩ .

* زينب الغزالى ـ أيام من حياتى ـ ص ٢٦ .

وإذا كان هذا هو وضع أبرز سيدة فى تاريخ الأخوات المسلمات ، فإننا لانعجب حين نكتشف أن الهيكل التنظيمى للجماعة كان مبنيا على أساس علاقات القرابة التى تربطهن بأعضاء مكتب الإرشاد ــ وهو بمثابة اللجنة المركزية لدى الإخوان المسلمين ــ إن زوجة حسن الهضيبى ــ المرشد العام الثانى ــ كانت تشغل منصب رئيسة قسم الأخوات أثناء زعامة زوجها للحركة .

وآمال العشماوى زوجة « منير دلة » ــ العضو البارز بمكتب الإرشاد وأحد أعيان الصعيد ــ تحتل موقعاً قيادياً أيضاً .

وأمينة على الشهيرة بأمينة الجوهرى زوجة محمود الجوهرى الذى عينه « البنا » سكرتيراً للأخوات المسلمات مدى الحياة . والذى سبق أن شكا ضيقه من العمل وسط الحريم .

كما نجد زينب الشعشاعى زوجة الشيخ عبد اللطيف الشعشاعى واعظ قسم الأخوات ، وفاطمة عبد الهادى حرم محمد يوسف هواش عضو مكتب الإرشاد ، وحميدة قطب أخت سيد قطب وغيرهن كثيرات من أقارب الأعضاء القياديين بالجماعة اللاتى احتللن مكان الريادة والصدارة فى الأخوات المسلمات بحكم وضعهن الأسرى وليس بحكم قدراتهن أو معتقداتهن الخاصة . وتذكر كتب الإخوان ومذكراتهم جوانب غريبة عن علاقات هؤلاء الرائدات ــ بالقرابة ــ بأزواجهن ، ففى حوار بين محمود الجوهرى وحسن الهضيبى ، يسأل فيه الأول الثانى عن مدى حفاوة أهله به ــ يقصد زوجته ــ أيام الشباب :ــ

(ابتدرنى مازحاً بهذه العبارة :ــ

عين الحسود فيها عود ، واستطرد يستشهد على مسارعتها فيما يرضيه ويرفع من رأسه :ــ فذكر أنها تعلمت الفرنسية إجادة وهى أم لأربعة أولاد ، لمجرد أنها رأت صديقتها زوجة وكيل النيابة الذى كان يعمل معى فى إحدى المحاكم القريبة من المنصورة تتقن الفرنسية وتتحدث مع عاملات المتاجر الكبيرة فى عاصمة الدقهلية فأكبرت أن تكون لزوجة وكيل النيابة قدرة على التحدث بلغة لاتعرفها ، وهى زوجة القاضى الذى يعلو فى المرتبة على وكيل النيابة ، وسرعان ماستأجرت مدرسة تختلى لحظات فراغها النادرة لتتلقى عنها الفرنسية)*

---

* خيال ــ الجوهرى ــ المصدر السابق ــ ص ٤٩٨

فزوجة الهضيبى لم تتعلم الفرنسية حباً فى العلم وشغفاً به ، بل من منطلق إحساسها بضرورة التميز الطبقى وكبرياء وغرور زوجة القاضى التى يجب أن تتعالى حسب قيمهم على زوجة وكيل النيابة ..

هذا فضلاً عما تكشف عنه الحكاية من إعلاء قيمة الحسد والغيرة فى علاقات زعماء الإخوان المسلمين . وأخيراً فى نوع الوظائف الذى تفضله تلك الجماعة للنساء فى المجتمع المعاصر « فهناك زوجة الزعيم المرفهة المنعمة ، والمدرسة التى تقدم لها عملاً خدمياً استهلاكيا ، بخلاف الوظائف النسائية الأدنى كما سنرى فيما بعد .

أما عمر التلمسانى المرشد العام التالى للإخوان المسلمين « فكان متطرفا فى غيرته عليها ـــ يقصد زوجة التلمسانى ـــ إلى درجة جعلته يمنعها من سماع أغنيات الموسيقار رياض السنباطى لشغفها بألحانه ، بل وحرمها من أن تزوره فى السجن (فيما بعد) عشر سنوات كاملة ، حتى لايراها ضباط السجن ورفاقه من المسجونين عند زيارتها له ... » *

وإذا كان هذا هو وضع زوجات الزعماء ، أو زعيمات الزوجات كما وضعهن الترتيب القيادى للإخوان ، فلنا أن نتخيل وضع القاعدة ، ونوع العلاقات التى تحكم مختلف العلاقات الشخصية بالأزواج وباقى أفراد الأسرة .

وفى مقابل إشادة الجماعات الإسلامية بصفات الطاعة والخنوع والغيرة ، وهى الصفات السلبية دائماً فى النفس الإنسانية ، فإنهم يشددون الهجوم على كل ماهو إيجابى فى المرأة ـــ قالبين بذلك الأمور على رأسها ـــ فالمرأة إذا ناقشت فى حقوقها فهى فاسقة ، وإذا خرجت للعمل فهى منحلة .

وظل موقفهم من الوضوح والثبات فى نشر الدعاية المضادة لحركة تحرير المرأة والتشهير بكل عضواتها والهجوم على أى حق تنتزعه المرأة المصرية فى مسيرة تحررها ...

وفى كتاب الأخوات المسلمات لم تفلت امرأة من سهام القذف والطعن حتى فى سمعتها الشخصية ولم يفلت رجل ذكر له التاريخ أنه شارك أو ساهم فى تلك الرحلة بالفكر والجهد من القذف ..

---

* مجلة الحوادث ـ العدد ١٥٤٣ ـــ الجمعة ٣٠ مايو ١٩٨٦ م

فالطهطاوى ضعيف ومغفل « بسبب ابتعاده عن عقيدته الصافية . » *

وقاسم أمين والأفغانى ومحمد عبده وسعد زغلول جميعهم ماسونيون وعبيد لليهودية العالمية والاستعمار الغربى أما هدى شعراوى ونساء جيلها فهن منحلات ...!! *
وسنجد تلك القذائف من السباب فى جميع كتب الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية التى تناولت موضوع حركة تحرير المرأة ... ذلك لأنهم يفهمون حقوق النساء فى المساواة السياسية على أنها فسق وفجور ، وفى نداء عام للأخوات المسلمات وجهته الجماعة فى الاحتفال بالعيد السنوى الأول للأخوات المسلمات فى أمريكا نجد أن :

« التعاون بين قسم الأخوات المسلمات وبين الجمعيات النسائية الأخرى منعدم نظراً لاختلاف النظرتين والهدفين :- فالأخوات يعملن على صد غارات العدو عن حصون الأمة ، والنسائيات يعملن مع العدو لدك حصون الأمة ... » *

وهذا الحديث الدعائى الذى يطلقه الإخوان المسلمون من أحد معاقلهم بأمريكا ينسى أن تاريخ الأخوات المسلمات الذى يدعون أن هدفه هو صد غارات العدو ، لم يشارك طوال تاريخ مصر النضالى من أجل الاستقلال وخروج الانجليز سوى بمذكرة احتجاج مهذبة الأسلوب تقدم بها قسم الأخوات المسلمات إلى المندوب السامى البريطانى :

« فى مارس سنة ١٩٤٦ تقدم ــ يقصد قسم الأخوات ــ إلى المندوب السامى البريطانى بالقاهرة بمذكرة احتجاج على اعتداءات جنود الجيش البريطانى المحتل على الآمنين من المصريين » *

مع ملاحظة أن أسلوب المذكرات كان الواقع المصرى قد تجاوزه منذ زمن بالمظاهرات والإضرابات وغيرهما فهل يمكن تصور أن نساء حركة تحرير المرأة اللاتى خرجن ضد الاستعمار وشاركن فى الإضراب ، بل وحرضن عليه وساعدن فى تنظيمه ، حتى أن بعضهن كن يقفن أمام أبواب المصالح الحكومية ، ويعرضن على

---

* خيال ــ الجوهرى ــ المصدر السابق ص ٢٣٧

* خيال ــ الجوهرى ــ المصدر السابق ص ٣٤١

* خيال ــ الجوهرى ــ المصدر السابق

* محمود عبد الحليم ــ الاخوان المسلمون ــ المصدر السابق ص ٢٥٤

كاسرى الإضراب من الموظفين أن يقبلوا مصاغهن إذا كانوا فى حاجة إلى المال ، ويستمروا فى إضرابهم ولايخذلوا إخوانهم ... لايمكن تصور أن هؤلاء النساء اللاتى يضحين بما يملكن ، يعملن فى نفس الوقت مع العدو الذى يناهضنه بهدف « دك حصون الأمة » ... !!! إن الدعاية الإسلامية الإنشائية تلجأ فى الحقيقة إلى أكبر قدر من الديماجوجية فى مخاطبة جمهورها بهدف استثارته ضد المحاولات العقلانية فى التاريخ .

ooo

وقد يرى البعض أنه إذا كان فرع الأخوات المسلمات قد تكون من زوجات زعماء الإخوان وبناتهم ، فإن قيادة حركة تحرير المرأة قد كانت مقصورة أيضاً على زوجات زعماء الوفد أمثال هدى شعراوى زوجة على شعراوى أحد زعماء ثورة ١٩١٩ م ، وصفية زغلول زوجة سعد زغلول ، وإستر ويصا واصف زوجة ويصا واصف وغيرهن من بنات الطبقة الراقية وأعيان حزب الوفد .. فهذا صحيح ..

ولكن هل يمكن أن نستنتج من ذلك أن حركة تحرير المرأة كانت مجرد جناح من أجنحة حزب الوفد ، وأنها كانت ذيلا تابعا لحركته ومجرد منفذ لسياساته ... ؟

يذكر لنا التاريخ أن العلاقة بين لجنة الوفد للسيدات وباقى الحزب ــ وبالذات قيادته ــ لم تكن علاقة تبعية ، فلقد حدث الكثير من الخلاف حول الرؤية السياسية والمواقف مما أحدث صدامات عنيفة بين الوفد وقيادات حركة تحرير المرأة ، مما أدى بعد وقت قليل إلى انسحاب مؤسسات لجنة الوفد للسيدات وتكوينهن للاتحاد النسائى المصرى المستقل ...

وكانت بداية الخلافات المعلنة أن أعلنت لجنة الوفد للسيدات احتجاجها على أعمال الوزارة الوفدية برئاسة سعد زغلول ، لأنها أغفلت مجهود المرأة وكفاحها فلم تشركها فى البرلمان والحياة النيابية ، وتطور الخلاف حتى هاجمت هدى شعراوى سعد زغلول ــ زعيم الأمة الذى تخرج الجماهير هاتفة بحياته ــ وأعلنت فى الصحف أنه :-

(لايوجد خطر على القضية المصرية أكبر من أن يتولى المفاوضات مع الانجليز رجل

يعترف علانية أمام هيئة نيابية بأنه عاجز عن تنفيذ ماعاهد به الأمة)* . وكان عهد سعد زغلول الذى لم ينفذه خاصاً بدخول المرأة البرلمان وإشراكها فى الحياة السياسية الرسمية ، وخرجت مظاهرة بزعامة هدى شعراوى تطالب بدخول المرأة البرلمان فى يوم افتتاحه .

ولم تفقد هدى شعراوى بعد ذلك (زمام المبادرة فى مواجهة سعد زغلول وشعبيته الكاسحة ... فقد اختلفت معه لموافقته على البند الخاص بالسودان والذى نادى بالملك فؤاد ملكاً على مصر دون السودان فى بيان توفيق نسيم عند توليه الوزارة . وكان سعد زغلول قد أرسل يهنئه على بيانه ، فثارت هدى شعراوى لكنه لم يعبأ لثورتها ، بل إنه تجاهلها فى الاحتفال السنوى للوفد فى ١٣ نوفمبر ١٩٢٢ ، برغم أن العادة جرت على حضورها ولجنة الوفد المركزية للسيدات منذ ثورة ١٩١٩ م ، فما كان من هدى شعراوى إلا أن أرسلت رسالة شخصية إليه تخطره فيها بالرغبة فى عدم العمل معه فى اللجنة السابقة كما قدمت استقالتها)*

أحداث أخرى كثيرة تؤكد على الحس السياسى المستقل للحركة النسائية المصرية وزعيمتها هدى شعراوى حتى تخطت فى ثوريتها مواقف حزب الوفد ، وثورية زوجها فى مواقف أخرى ، كما حدث حينما عارضته بقوة وشجاعة فى موقفه من قضية السودان التى يعلق عليها الدكتور محمد أنيس بقوله :-

(من الغريب أنه بينما تحتج لجنة السيدات التى ترأسها السيدة حرم شعراوى باشا على مشروعات رى السودان وغيرها ، نراه هولايهتم بمثل ذلك . وإذا قيل إن السيدات أرشدت لتقديم مثل هذا الاحتجاج ، فقد توجه إليه — يقصد شعراوى باشا — بعض المهتمين بالأمر وطلبوا منه أن يشترك معهم فى العمل حيث اعتزم الكل على طلب عقد الجمعية التشريعية بصفة غير رسمية ، فاعتذر سعادته عن ذلك)*

---

* لطيفة سالم ـ المرأة المصرية والتغيُّر الاجتماعى ـ ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ سلسلة مصر النهضة ـ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م ص ٣٣

* د . نبيل راغب ـ هدى شعراوى وعصر التنوير ـ سلسلة تاريخ المصريين ـ رقم ١٢ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ م ص ١٢٩ .

* د . محمد أنيس ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ـ الجزء الأول ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ـ الطبعة الأولى مكتبة الأنجلو المصرية ص ١٩٧

وبلغ الخلاف بين هدى شعراوى وقيادة حزب الوفد حداً دفعها إلى تشكيل تنظيم نسائى آخر فى ١٦ مارس ١٩٢٣ م على أنقاض لجنة الوفد المركزية للسيدات .. عرف باسم الاتحاد النسائى المصرى ، الذى واصل نشاطه المستقل من أجل حرية النساء وحقوقهن ، وحرية الوطن وحقوقه ، ولذلك عارضت هدى شعراوى والاتحاد النسائى المصرى معاهدة ١٩٣٦ م ، التى عقدها مصطفى النحاس — الزعيم الثانى للوفد — مع الانجليز ، ثم عارضت بشدة موقف الوفد من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ م ، ورفضت كل التبريرات التى قيلت فى ذلك الحين ، واستنكرت أن يتولى حزب الوفد رئاسة الوزارة تحت حماية الدبابات الانجليزية .. مهما كانت الأسباب .

واستمر عداء هدى شعراوى للسلوك غير الثورى لحزب الوفد حتى قالت عنه :— (إنه ميراث تبدد وثوب تهلهل ..) * وتاريخ الحركة النسائية فى ذلك الحين مشحون بالمواقف والمطالب التى اتفقت مع الوفد حيناً واختلفت معه أحياناً ، واختلفت مع القصر والانجليز والقوانين دائماً .. وكانت فى كل الحالات تعبيراً عن حالة الغليان التى تسود تلك الفترة ...

وعلى قدر تكتل الحركة النسائية وقوتها استطاعت أن تنتزع بعض الحقوق الملائمة لمدى تطور المجتمع فى ذلك الحين ، وظلت هناك مجالات لم تستطع اقتحامها كحقل القضاء والنيابة والبرلمان وإدارة الدولة وغيرها ، كما ظلت تقع تحت وطأة قوانين الأحوال الشخصية ذات الصبغة الدينية ، وظل التعليم العالى حكراً على عدد محدود من نساء الطبقة العليا ، على الرغم من انسياب أفكار تلك الحركة فى شرايين المجتمع ، وإحداثها لمجرى أكثر اتساعاً فى الثلاثينيات ، وفى الأربعينيات التى شهدت تعدد التيارات السياسية فكان إلى جوار حزب الوفد وطليعته ، الإخوان المسلمون ، مصر الفتاة ، وبعض التنظيمات الشيوعية .

تعددت أيضاً التنظيمات النسائية ، وتأثرت برامجها وبعض أنشطتها بأفكار بعض التيارات السياسية ...

فإلى جوار الاتحاد النسائى المصرى تكون الحزب النسائى الوطنى عام ١٩٤٢ م

---

* د . آمال السبكى — الحركة النسائية فى مصر — المصدر السابق — ص ٦٨ .

(الذى أسسته فاطمة نعمت راشد من عضوات على درجة عالية من الثقافة ، فوكيلته وسكرتيرته محاميتان ، وكانت على رأس مطالبه قبول النساء فى كافة وظائف الدولة ، متى كانت لديهن المؤهلات ، وإعطاء العاملات حق التمتع بكل قوانين العمال ومساواتهن بهم فى العمل واشتراكهن فى النقابات وضرورة العمل على منع تعدد الزوجات .)*

كما تكون اتحاد بنت النيل عام ١٩٤٩ م بزعامة الدكتورة درية شفيق وشاركت الحركة النسائية بتشكيلاتها السابقة الذكر وتحالفاتها مع التيارات السياسية فى الأحداث السياسية : (فعندما هبت مظاهرات الشعب سنة ١٩٤٦ ونظمت كافة الطبقات المظاهرات الشعبية ساهمت الفتيات العاملات والطالبات فى « اللجنة الوطنية » ولكن هذا الاتساع الجماهيرى لحركة تحرير المرأة لم يتخط الحدود الطبقية للبرجوازية والشرائح العليا من البرجوازية الصغيرة التى تسعى فى ركابها كما يتضح من مطالب وأفكار وشعارات تلك الحركة .

أما المرأة العاملة بالمصانع والتى سبق خروجها تاريخياً من البيت ، تحت وطأة استغلال رأسمالى شديد وبأجر زهيد وساعات عمل طويلة وبأعداد لا يمكن تجاهلها فى صناعات الغزل والنسيج وعصر الزيوت وغيرها من الصناعات الرئيسية فى ذلك الحين ، لم تجد من يتبنى مطالبها ويدافع عن حقوقها ...

وقائدات حركة تحرير المرأة الوفديات واللاتى ينحدرن من أصول طبقية أرستقراطية ويطالبن بالحرية والاستقلال ويرفعن لواء الدعوة إلى الإضراب الشامل عن العمل .. لم يفطن إلى سوء وضع العاملة المصرية التى شاركت ليس فى التظاهر والتصدى لرصاص الانجليز بصدر عار ، وفى اقتلاع قضبان السكك الحديدية حتى لا تمر عليها قوات قمع الثورة فقط ، بل شاركت فى الإضرابات الطويلة عن العمل وإلحاق شتى أصناف الخسائر الاقتصادية بالاستعمار الانجليزى ومن يسانده من أصحاب المصالح ...

لقد كانت العاملات جزءا من جسم الثورة الحيوى ، وبعد انتهائها لم يجدن من قائدات الحركة سوى التجاهل .. وهذا ليس غريباً فى ظل أفكار سياسية تنحاز لمصالح

---

*د . لطيفة محمد سالم ـ المرأة المصرية والتغيير الاجتماعى ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ م سلسلة مصر النهضة ـ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصرة ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م ص ٥٨

طبقية بعينها ولا تتجاوز مطالب الاستقلال والدعوة لإنشاء صناعة وطنية .

وظل اشتراك العاملات فى كافة المظاهرات السياسية مستمراً .. بالإضافة إلى اشتراكهن فى الإضرابات والاعتصامات العمالية داخل المصانع وخصوصاً مصانع شبرا الخيمة والزيتون فى أعوام (٤٥ ــ ٤٦ ــ ٤٧ ــ ٥٠)

واشتركت العاملات ضمن أعضاء لجنة مندوبى المصانع بشبرا الخيمة سنة ١٩٤٦ ، كما كان بين عمال مصنع السلوم بالزيتون سنة ١٩٤٧ م ثلاث مندوبات ، وساهمت العاملات سنة ١٩٤٦ م فى نشاط مؤتمر النقابات وكانت تمثلهن السيدة « حكمت الغزالى ») *

وأيا كان الحال فهناك فقر شديد فى المراجع التى توضح حال العاملة المصرية ونضالها ومطالبها ومدى علاقتها بالحركة الوطنية من جانب ... والحركة النسائية من جانب ثانٍ ...

والنضال العمالى من جانب ثالث ...

وربما يكون تجاهل الدراسات التاريخية لوضع العاملات المصريات ، إمتدادا لنفس موقف البرجوازية من تجاهل النضال العمالى بوجه عام مما يحتاج إلى دراسة مستقلة ... والجدير بالذكر أنه فى وقت تحالف الحركة النسائية بالحركة الوطنية عام ١٩٤٦م فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة والتى خرجت فيها وفود النساء تطالب بالسلاح عند عودة رئيس الوزراء النقراشي وبينهن المناضلة حكمت الغزالى النقابية الشهيرة ، واشتراكهن فى المقاومة الشعبية وغيرها ، كان الإخوان المسلمون بقيادة « حسن البنا » يهتفون للطاغية إسماعيل صدقى والملك ضد الحركة الوطنية ... (لمزيد من التفاصيل انظر د . عبد العظيم رمضان تطور الحركة الوطنية فى مصر) .

فسجلوا بذلك تياراً مناوئاً ليس للحركة النسائية فقط ، بل وللحركة الوطنية برمتها .. وشهدت ساحة الجامعة عدداً من الصدامات بين الإخوان المسلمين من الطلاب وزملائهم من أعضاء اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ...

حتى كانت نهاية الأربعينيات ، وحمل عام ١٩٤٩ م رياح الصدام الدامى بين الأصدقاء ــ الأعداء (حسن البنا والسراى) فصدرت الأوامر الحكومية بحل جماعة

---

* د . آمال كامل بيومى السبكى ــ الحركة النسائية فى مصر ــ المصدر السابق ص ٦٣ .

الإخوان ، وإغلاق جميع فروعها ومؤسساتها التي ساهمت نفس الأوامر في إنشائها من قبل ... !!!

ومات حسن البنا وانتهت الحلقة الأولى في تاريخ الإخوان المسلمين دون أن تستطيع إيقاف تيار حركة تحرير المرأة الآخذ في الاتساع والقادر على جذب أعداد وقطاعات جديدة من النساء.. ..

ο ο ο

ومع الحلقة الثانية للإخوان المسلمين والتي جاءت بقيادة المرشد العام الثاني المستشار حسن الهضيبي ، كانت نفس المشاكل والمواقف من قضية المرأة مطروحة عليهم ، فيحكي الهضيبي أنه : ـــ

(كان يتحدث إلى الإخوان في صيف ١٩٥٢ م حينما طرح عليه أحد الأعضاء مشكلة أنه لايعرف كيف يتصرف في كثير من شئون حياته مع زوجته هل يركب معها الترام أو يذهب معها إلى السينما وهل يدخل بناته الجامعة ؟)*

فأشار الهضيبي على « البهي الخولي » ـــ أحد قيادات الإخوان المسلمين في ذلك الوقت ـــ أن يضع رسالة موجزة تبين حقوق المرأة وواجباتها في البيت والمجتمع . ومن أهمية الرسالة كتب الهضيبي في مقدمتها :ـــ

(إننا إزاء نهضة مباركة ولذلك ينهض الإخوان إلى المساهمة في وضع أسس هذه النهضة)*

لقد كان الهضيبي يعيش شهر العسل مع حركة ٢٣ يوليو ، وكان هو والإخوان جميعاً يظنون أنهم سيحكمون مصر عن طريق هؤلاء الضباط ، ولذلك سمى هذه الفترة « بالنهضة المباركة » ..

لكن شهر العسل لم يدم كثيراً ، فسرعان مادب الخلاف ...

وواجهت الجماعة محنة الحل الثانية والقمع في السجون الناصرية ... ووجدت نساء الإخوان أو مايسمى بالأخوات المسلمات أنفسهن أمام ضرورة القيام بالدور

---

* البهي الخولي ـ المرأة بين البيت والمجتمع من رسائل الإخوان المسلمين مطابع دار الكتاب العربي بمصر ـ ١٩٥٣ م .

* البهي الخولي ـ المصدر السابق ـ المقدمة .

الخدمى ، فتألفت لجان الزيارات للسجون وأصبحت زوجات الزعماء هن حلقة الوصل بين الإخوان المعتقلين وبين العالم الخارجى ، كما يتضح من رسالة زوجة الهضيبى إلى الملك سعود ، التى تنشد فيها عطف الملك لكى يتدخل لدى عبد الناصر (ويشفع فى تخفيف الحكم على الزوج .)*

وفى تلك الفترة دخلت بعض الأخوات المسلمات السجن مثل زينب الغزالى وحميدة قطب إمعاناً من عبد الناصر فى التنكيل بخصومه السياسيين حتى النهاية ...

ولم يكن الإخوان المسلمون فقط هم من بنى الآمال والأحلام على إمكانية تحقيق مطالبه فى ظل النظام الجديد ــ وإن اختلفت أساليب المطالبة ...

فقد حاولت بعض رائدات حركة تحرير المرأة المطالبة ببعض الحقوق السياسية ، ولكن ليس عن طريق المناشدة أو التحالف مع النظام بقصد استخدامه كما فعل الإخوان ، ولكن بالتكتل ومحاولة انتزاع الحقوق ، ففى أثناء أزمة مارس ١٩٥٤ م وحينما كانت قوى الديمقراطية تطالب بعودة الجيش وضباطه إلى ثكناتهم العسكرية وإجراء انتخابات ديمقراطية ، فى تلك الفترة التى كان الإخوان فيها يتحالفون مع الضباط ضد الديمقراطية .

(اعتصمت بعض السيدات فى نقابة الصحفيين وأعلن الإضراب عن الطعام حتى الموت .. ولم يعدلن عن ذلك إلا بعد خطاب أرسلته لهن ــ الحديث على لسان محمد نجيب الرئيس السابق ــ واعداً بأن ينلن حقوقهن فى الدستور .)*

لكن أزمة مارس انتهت لصالح جمال عبد الناصر وقوى القمع والديكتاتورية ولم يعد محمد نجيب مطالباً بتنفيذ وعده ، فماذا فعل عبد الناصر إزاء قضية المرأة بعد القضاء على خصومه السياسيين ؟

يذكر لنا تاريخ تلك الفترة أن بعض الحقوق قد أعطيت للنساء على المستوى القانونى ، تلبية لحاجة الاتجاه إلى توسيع القاعدة الصناعية ومايلازمها من عمل النساء ، فسمح لهن بتقلد بعض المناصب ، وبالتمثيل فى المجالس النيابية ولكن تحت سطوة الدولة ومن خلالها اختياراتها ...

---

* خيال ــ الجوهرى ــ المصدر السابق .

* محمد نجيب ــ كلمتى للتاريخ ــ دار الكتاب النموذجى ١٩٧٥ م ص ٢٠١ .

ففى انتخابات عام ١٩٥٧ م رشح الاتحاد القومى خمس سيدات فقط وقع عليهن اختيار السلطة الناصرية ، فتقدمن بأوراق الترشيح من خلال الاتحاد القومى الذى سبق واعترض على ١١٨٦ مرشحا من الرجال ، لم تكن مواقفهم ترضى النظام الناصرى ... وصحيح أنها كانت المرة الأولى التى تنزل المرأة المصرية فيها إلى ساحة الحياة السياسية كناخبة ومرشحة ، إلا أنه ليس نزولاً مفتوحاً وحراً للحركة النسائية ، وكانت النساء اللاتى نزلن الانتخابات هن :—

(١ — زينب مراد وشهرتها سيزا نبراوى عن دائرة مصر القديمة بالقاهرة .

٢ — نظلة الحكيم عن دائرة بلقاس دقهلية .

٣ — زينات عابدين عن دائرة كرداسة بالجيزة .

٤ — أمينة شكرى عن دائرة قسم باب شرق بالأسكندرية وقد انتخبت فى الإعادة وحصلت على ٩٠٢٥ صوتاً .

٥ — راوية عطية عن قسم ثان الجيزة وقد انتخبت وحصلت على ١١٨٠٧ أصوات)* .

كما منحت السلطة الناصرية للنساء حق المشاركة فى مجلس الوزراء ، وإن كانت مشاركة لاتتعدى حدود وزارة الشئون الاجتماعية . مع الاحتفاظ بقوانين الأحوال الشخصية كما هى بشكل يؤكد قوامة الرجل على المرأة وإعطاءه كل مفاتيح التحكم فى البيت .

وراحت أجهزة الإعلام الناصرية تروج لهذا الوضع المزدوج بالسيطرة على الحركة النسائية واستيعاب منظماتها فى الأجهزة الرسمية وإصدار قانون تبعية تلك الجمعيات لوزارة الشئون الاجتماعية وضرورة حصولها على موافقة رسمية فى كل مايخص نواحى النشاط ، وذلك لمحاصرتها سياسياً واجتماعياً .

وظلت السلطة الناصرية تمسك العصا من المنتصف .. فإذا كانت حركة تحرير المرأة — التى لم تعد حركة الآن بل شراذم وفلولا متناثرة — تطالب بالعمل والترقى فى المناصب ، فإن الدولة تسمح بإعطاء النساء — اللاتى يتمتعن برضا المسئولين — بعض

---

* طه سعد عثمان — مذكرات ووثائق — من تاريخ عمال مصر — الكتاب الثانى — مكتبة مدبولى — ١٩٨٢ م ص ٢٧١

المناصب وإن ظلت قليلة (حيث عينت الدولة فى عام ١٩٦١ م أربع سيدات فقط ـــ فى مناصب إدارية عليا ـــ)* .

بالإضافة إلى استمرار الرقابة الشديدة على من تسرى عليهن هبة التعيين ، والإكثار من التقارير البيروقراطية الكفيلة بقتل البقية الباقية لروح الحركة النسائية .

ويظل وجود الوزيرة وعضوات مجلس الأمة وغيرهن من الصحفيات والإذاعيات مرهوناً بإرادة جهاز الدولة ومصالحها الطبقية ، ولذلك أصدرت قراراً بوقف جميع المجلات النسائية إلا واحدة فقط تصدر عن مؤسسة دار الهلال الصحفية ، وتتبع إدارتها ، وبذلك يتم تتويج انحسار حركة تحرير المرأة وتحويلها إلى حركة موظفات وجمعيات خيرية تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية ، وتقيم من أجل ذلك بين الحين والآخر احتفالات ، تلقى فيها السيدة الوزيرة خطاباً رسمياً عن إيمان الدولة وحماسها الطاغى لتحرير المرأة ...

وهكذا على الطريقة الناصرية يكون الحديث طناناً حتى تصدق النساء ويوافقن على تعيين ممثلات لإرادة الدولة باسمهن وينمن مستكينات تحت مظلة النظام .. ..

وبرغم ذلك فإن تلك الإجراءات وهذا الهامش الدعائى الشكلى لم يسلم من رفض وانتقاد الإخوان المسلمين وجماعة شباب سيدنا محمد المنشقة عن الإخوان ... حتى كان أول قرار تتخذه تلك الجماعة هو الإضراب عن الزواج بغير المحجبات . وكانت أولى ندواتها :ـــ قاسم أمين داعية التحلل والفساد .

وأول رسالة شهرية تصدر باسمها فى سبتمبر ١٩٦٢ م : عن الجمعيات والهيئات الإسلامية فى مصر واشتغال المرأة بالسياسة والأعمال العامة وهى تتضمن الأبحاث التى ألقيت فى مؤتمر الجمعيات الإسلامية الذى انعقد فى دار جمعية الإخوان المسلمين فى أوائل سنة ١٩٥٢ م ، وكان سبب إصدار شباب سيدنا محمد لهذه الرسالة بالذات هو صدور قرار عبد الناصر بتعيين حكمت أبو زيد كأول وزيرة فى تاريخ مصر ـــ ولكن السلطة الناصرية بادرت إلى مصادرة الرسالة سريعاً .. وإلحاق شباب محمد بمصير زملائهم من الإخوان . الذين ظلوا على مبدأهم الرافض لمشاركة المرأة فى الحقوق السياسية حتى أنهم وبعد الإفراج عنهم وعودتهم فى السبعينيات يتهكمون ويستنكرون

---

* إقبال بركة ـ تأثير الفكر العربى المعاصر على حركة تحرير المرأة ـ بحث مقدم إلى المؤتمر الأول لجمعية تضامن المرأة العربية .

التاريخ الذى أعطى للنساء تلك الحقوق فيقول خيال والجوهرى فى كتابهما :ـــ

(أصبح من حق المرأة فى مصر التصويت فى الانتخابات والترشيح لعضوية المجالس النيابية والشعبية والجلوس على كرسى الوزارة ، وصدرت القوانين التى تؤكد هذه الحقوق وتلتها قوانين أخرى :ـــ

ـــ قانون بفرض ثلاثين نائبة على الأقل فى مجلس الشعب .

ـــ قانون بفرض خمسة وعشرين فى المائة من النساء على الأقل فى عضوية جميع المجالس الشعبية والمحلية .

ـــ قانون بجعل الانتخاب والتصويت إجبارياً على كل أنثى تبلغ الثامنة عشرة من عمرها ، مع كونهما ليسا بالإجبار على الرجال .

ـــ قانون تعديل أحكام قانون الأحوال الشخصية .

إن اشتراك المرأة فى الحكم فى أى صورة من الصور مخالف للشريعة الإسلامية تماماً ، وهو بدعة مستوردة من الخارج عملت الثورة على اتباعها وتقليدها غير عابئة بأحكام الشريعة الغراء التى نصت على أنه لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة .

واشتراك المرأة فى الوزارة وفى مجلس الشعب والمجالس المحلية والمجالس الشعبية هو اشتراك فعلى فى الحكم والولاية وهو مالايرضاه الله ورسوله)*

والنص السابق يحمل الكثير من المغالطات ، فليس صحيحاً أن القانون جعل التصويت إجبارياً على الإناث مع أنه ليس إجبارياً على الرجال .. أو أن هناك قانونا يفرض خمسة وعشرين بالمائة من مقاعد المجالس الشعبية للنساء .. وفى النهاية ـــ وهذا هو المهم ـــ يرفض أى اشتراك ـ ولو رمزى ـ للنساء فى الحياة السياسية .

وبرغم الاستهجان الإخوانى ، فلقد ظل الصوت الوحيد المتحدث باسم النساء والمانح لهن فتات الحقوق فى محاولة استيعاب طاقتهن وتوظيفها لخدمة أهداف رأسمالية الدولة هو صوت السلطة الناصرية حتى انفجر الوضع عام ١٩٦٨ أمام عجز الدولة وفسادها الواضح وخرجت مظاهرات العمال والطلاب تطالب بمحاكمة المسئولين فى تلك الخديعة الكبرى التى استغرقت شعباً بأكمله وكانت نتيجتها هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ وفضائح محاكمات الطيران ...

---

* خيال ـ الجوهرى ـ الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ـ المصدر السابق .

وشاركت الطالبات بقوة فى هذا التمرد على جهاز الدولة ... وبدأت أسئلة جديدة تنفجر فى رحم تلك الحركة عن وضع كل الطبقات والقوى الاجتماعية فى مصر ...

ـــ عن وضع الرأسمالية التى ماعادت قبضة الدولة القوية تلائمها ..

ـــ عن وضع الطبقة العاملة من ناحية أخرى ، واكتشافها أن صيغة تحالفها مع الطبقات الأخرى كانت أكذوبة طالما استغلتها واستنزفت قواها .

ـــ وعن وضع البرجوازية الصغيرة التى راحت تبحث لنفسها مرة أخرى عن مكان وسط الصراع الدائر ، يراودها فى ذلك حلم الصعود السريع بينما الواقع يهددها بالإفقار واحتمال الهبوط إلى درجة اجتماعية أقل ...

وبالطبع فإن التحليل الطبقى لتلك الفترة الزمنية يحتاج إلى دراسة مستقلة ، لكن الواضح فى هذا الصراع والخاص بموضوع دراستنا هو اشتراك عدد كبير من الطالبات فى مظاهرات عام ١٩٦٨ ، ونجاح اليسار فى جذب قطاع كبير من جمهور الطالبات اللاتى تمردن على قيود السلطة الأسرية وسلطة الدولة وشاركن فى الإضراب عن الدراسة والاعتصام ومناقشة القضايا الوطنية المطروحة ، كضرورة الحرب والانتصار على العدو « الإسرائيلى » .

ودخل عدد كبير منهن السجن ليسجلن بذلك علامة اتساع النطاق الجماهيرى لوجود المرأة السياسية .

لكن الحركة اليسارية الواسعة التى كانت تطرح على نفسها مهمة مناقشة القضية الوطنية وطبيعة النظام القائم ، لم تلق بالاً إلى خصوصية وضع جمهورها من البنات من ناحية مناقشة وضعهن الاجتماعى وحقوقهن فى المساواة الكاملة .

وإذا كانت الحركة الطلابية اليسارية قد انحسرت بشكل ملحوظ بسبب أخطاء ليس الآن مكان دراستها .

لكن الوضع لايعنى التسليم الكامل ، فلقد خرجت من هذه المعركة فتيات لازلن يبحثن عن حل .. فاندرج بعضهن فى صفوف حزب اليسار الرسمى الذى لايستوعب طاقتهن بتقديمه للتفسيرات الإصلاحية السهلة والجاهزة .

وتكونت بعض الجمعيات المستقلة .. كما لم ينضم إلى أى تنظيمات عدد لايستهان به من بقايا جمهور حركة تحرير المرأة ..

وخلال رحلة التسعين عاماً الماضية من عمر البرجوازية المصرية نستطيع أن نرصد ببساطة أن جمهور حركة تحرير المرأة فى البداية كان يعتمد أساساً على النساء من بنات الملاك وكبار رجال الدولة ، ثم دخلت الحلقة بنات مثقفى البرجوازية الصغيرة ، حتى اتسع نطاقها الجماهيرى بين طالبات الجامعة وشرائح البرجوازية الصغيرة ..

والآن نجد أن نفس هذا القطاع من الطالبات وصغار الموظفات وبعض ربات البيوت هن الجمهور النسائى للجماعات الإسلامية ويرصد البحث الذى أعده المركز القومى للبحوث الاجتماعية عن ظاهرة الحجاب : -

ـــ أن الظاهرة اتضحت فى البيئات الحضرية بشكل رئيسى ، بمعنى أنها انتشرت فى المدن الرئيسية أكثر من انتشارها فى قرى الريف .

ـــ أن هذه الظاهرة شملت معظم فئات العمر بين الإناث إلا أن الانتشار لظاهرة الحجاب كان بالأساس بين الشابات خاصة طالبات الجامعة حيث انتشر من الجامعات الرئيسية : - (القاهرة ـــ عين شمس ـــ الأسكندرية) إلى ماعداها .

ـــ أن الظاهرة قد انتشرت بين مختلف المستويات الثقافية المتباينة بحيث تجد أن انطلاقها الرئيسى كان من المستويات الثقافية العليا والمتوسطة ، ثم انتشر منها إلى مختلف المستويات الثقافية الأدنى من ذلك* .

ويخلص البحث إلى أن الطبقة المثقفة المقيمة بالمدينة والتى عملت على إنجاح دعوات قاسم أمين ، خرجت منها بعد أكثر من نصف قرن الدعوة إلى ارتداء الحجاب مرة ثانية .

أما موقف عينة البحث من التعليم والعمل فكانت إجابة ٧٦,٥٪ من عينة المحجبات أن أهمية التعليم تنحصر فى أنه يعد الفتاة لتكون زوجة صالحة .

والمحجبات أقل إيماناً بحق المرأة فى العمل والترقى لأعلى المناصب الممكنة ، فالمرأة فى نظرهن مكانها البيت أما العمل فخلق أساساً من أجل الرجل . والموافقات منهن على مبدأ عمل المرأة يحطن هذه الموافقة بشروط منها أن يكون عملها فى مهن معينة بالذات كالطب أو التدريس أو أن تكون المرأة فى حالة عوز اقتصادى ، إذن فالصراع الذى كان يقوده مثقفو ومثقفات البرجوازية المصرية من أجل خروج المرأة للعمل ، تقوده

---

* المركز القومى للبحوث ـــ ظاهرة الحجاب بين الجامعيات ـــ وحدة البحوث الدينية والمعتقدات ـــ ديسمبر ١٩٨٢ م .

نفس الشرائح الطبقية للعودة مرة أخرى إلى البيت والحجاب .

وبين الدعوة للتحرر والدعوة للتحجب حوالى تسعين عاماً ، حققت فيها البرجوازية بعض مهامها ومنيت بالكثير من الهزائم ليعلن لسان حالها الآن أنها لا تستطيع إنجاز بقية المهام .. فانكفأت على ذاتها مرة أخرى وراحت تبحث عن حل يخرجها من الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التى تطبق على صدر جمهورها من الموظفين والموظفات والتكنوقراط وصغار التجار والحرفيين وزوجاتهم .. راحت تبحث عن حل ينفى عنها العجز .. ووجد هذا الجمهور المتعب والمثقل بالهزائم فى أشد الدعوات عنصرية وديماجوجية مايظن أنه الحل ....

الفصل الثانى

المرأة فى نظر الجماعات الإسلامية

ـ صورة من قريب ـ

[المرأة تأتى على صورة شيطان .. فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته ، فليأت أهله فإن معها مثل الذى معها .]

حديث يتكرر استخدامه كثيراً فى أدبيات الجماعات الإسلامية ولكن لماذا تصور المرأة على هيئة شيطان ... ؟

ألا يعنى ذلك أنها شيء كريه وبشع ويجب أن يحارب .. ؟

ألا تقدم تلك الصورة عكس ادعاءات الجماعات الإسلامية بأنها تريد الخير للنساء ... فكيف تريد الخير للشيطان ... ؟

تلك الازدواجية تبدو واضحة فى جميع خطبهم وكتاباتهم ... بل تكاد تكون السمة العامة فى تناولهم لموضوع المرأة الذى غالباً مايتم تناوله فى درجات متتالية أو متداخلة ، يمكن تحديدها فى الأفكار الآتية : —

١ — الحديث الإنشائى عن إكرام الإسلام للمرأة وإعلائه لشأنها حينما أمر بسترها وصونها فى البيت ...

٢ — التقليل من القدرات العصبية والنفسية والعقلية للمرأة بالمقارنة مع الرجل ، وتصعيد ذلك إلى نفى قدرتها الطبيعية على القيادة وشغل المناصب العامة .

٣ — الهجوم على المرأة العاملة باعتبارها مسببة البطالة وسارقة فرص العمل من الرجال ومخربة الأسر ومشردة الأطفال .

٤ — تخصيص أنواع بعينها من العمل للنساء كأعمال طب النساء والتمريض والتدريس والخياطة والغزل ، أو تخصيص عنابر للنساء فى المصانع تضمن الفصل بين العامل والعاملة .

وكتابات الجماعات الإسلامية فى تلك الأفكار تحتوى على الكثير من التناقض فهم يتحدثون عن الفكرة وعكسها فى نفس الوقت — كما سنرى فيما بعد — ، كما أن

النصوص التى يستشهدون بها بالغة العمومية وتحتمل تفسيرات شتى ... والتدقيق فيها يكشف عن بعدٍ آخر يحرصون على إخفائه دائماً خلف الصيغ العامة .

فهم حينما يسبون المجتمع المدنى الحديث الذى سمح بعمل المرأة وإعطائها الكثير من الحقوق .. لا يقصدون بذلك سحبها إلى البيت مرة أخرى وعودتها المطلقة إليه .. وإنما يقصدون الهجوم على حقوق سياسية واجتماعية تكفل لها المساواة ... فلا مانع من عملها ولكن بشروط وتحت ظروف قاسية ـ كما سنرى بالتفصيل بعد ذلك ـ .

وهم حينما يطالبونها بإخفاء جسدها العورة ويسبونها بأقذع الشتائم وأبشع الصفات .. يغازلون لديها ـ فى نفس الوقت ـ المثيرات الحسية ويطالبونها بأن تكون عاهرة للزوج فى مواضع أخرى ... والمادة التى تدور حول تصورهم هذا من الغزارة والفجاجة بحيث كان يكفى تجميعها ووضعها إلى جوار بعضها البعض لتعطى صورة صارخة عن هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن المرأة ويتحدثون باسم الحفاظ عليها .

لغة الخطاب الموجه إلى النساء عندهم يغلب عليها طابع التهديد والوعيد وتدور حول وصف النساء بالقطيع الضال الذى يحتاج إلى من يقوده ـ وخصوصاً بالعصا ـ ، وكثرة استخدامهم لكلمة التبرج فى وصف غير المحجبات يليها استخدام صفات التغفيل والطيش . حتى أن كتيباً دعائياً صغيراً طبعته مؤسسة دار الاعتصام ، ـ إحدى دور الإخوان المسلمين للنشر والطبع ـ تحت عنوان « التبرج » لنعمت صدقى ، حشد فى صفحاته القليلة التى لم تتجاوز الستين صفحة من القطع الصغير ، تلال من السباب والشتائم وضعتها الكاتبة على رءوس النساء بلا حساب فلم تتورع عن تسمية المرأة غير المحجبة « بالراقصة الخليعة الفاجرة » أو « الزانية الفاحشة » .. كما ملأت صفحات الكتاب بصراخ هستيرى : — « ياللفضيحة ويالّلخجل والعار » .

وكأننا لا نزال نعيش فى القرن الأول فى الصحراء القاحلة وصهيل الخيل ودوى السيوف يتعالى .... ! ! !

ومن الطريف أن الجماعات الإسلامية إمعاناً منها فى فرض جو إرهابى يحلل لها تحقير نساء العصر الحديث ، تلجأ إلى تشبيههن بنساء العصر الجاهلى ، طالما أن صورة الجاهلية ترتبط فى ذهن الناس بكل ماهو مذموم .. ملعون .. مما يسهل مهمة التشكيك فى نتائج الحضارة الحديثة ، ويدير ظهر النساء إلى الحائط ...

ولكن ماوجه الشبه بيننا نحن نساء القرن العشرين وبين من يسمين بالجاهليات ، فنحن لانرتدى ملابسهن ، ولانفكر بطريقتهن ولانعيش وضعهن الاجتماعى وعلاقاتهن بالجنس الآخر من الرجال . والفرق بيننا وبينهن ليس رقم الأربعة عشر قرناً فى حسابه العددى ، بل ميراث حضارة وتجارب وخبرات وأفكار التطور التاريخى عبر هذا الزمن الطويل ....

ووعى المرأة المعاصرة الاجتماعى ـ حتى المرأة الأمية التى لم تتعلم القراءة والكتابة ولم تمارس عملاً وظيفياً ـ لايمكن قياسه بوعى امرأة القرن التاسع عشر ... فما بالكم بوعى أربعة عشر قرناً سابقة .... ؟

وبما أن دعاية الجماعات الإسلامية لاتستطيع اختزال أربعة عشر قرناً من عمر الحضارة البشرية بكل نتائجها ، ـ حتى لو استعانوا بكل أسلحتهم الإرهابية لفرض جو من الخوف والصمت عن النقاش ـ ، فإن للتشبيه عندهم غرضا آخر ، فربما يستخدمون تلك الأمثلة لتجريم الميراث الفكرى الحضاري واختزاله ليس من التاريخ ، بل من عقل جمهور النساء المتعبات فى اللحظة الحالية .... ـ مع ملاحظة أن هذه الدعوات لم تجد أي إقبال من نفس هذا الجمهور فى لحظات تاريخية سابقة كانت تجسد قوة الإخوان المسلمين ... كما رأينا فى الفصل السابق ـ .

إن تشبيه « الجاهلية » هو سوط تسلطه الجماعات الإسلامية على ظهور النساء المتعبات لتوجيه طاقاتهن وفق النسق الأيديولوجى لهم ، وتستخدمهن به فى إحداث المزيد من التوتر فى معركتهم الآن ... وأى مدقق فى كتابات تلك الجماعات سوف يلحظ بسهولة التناقض الواضح فى النصوص بين الإكثار من ترديد الصيغ الإنشائية حول إكرام المرأة وإعلاء مكانتها ، وبين استدعاء حديث يقول : —

[النساء سفهاء إلا التى أطاعت زوجها]* .

وبصرف النظر عن صحة الحديث أو وضعه .. لأنها قضية أخرى يمكن أن تبحث فى علم رواية الحديث .. فإن الجماعات الإسلاميه تفتن به وتستشهد به كثيراً حيث ورد فى معظم كتبهم مثل كتاب إلى كل فتاة تؤمن بالله للدكتور محمد البوطى .. وغيره .

مثال آخر :ـــ فهم يستشهدون بحديث : (استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن

---

* د . محمد البوطى ـ إلى كل فتاة تؤمن بالله .

من ضلع أعوج ، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، فاستمتع بها على عوج .) *

فهذا الحديث الذى يبدو فى الظاهر وكأنه دعوة لحسن معاملة النساء إلا أنه يعكس تفوق الرجل الذى تمنحه تلك الرؤية حق الاستمتاع بالمرأة وكأنها دمية ، ويا ليتها حتى دمية مستقيمة بل هى معوجة . ومن الطريف أن يسوق حسن البنا المرشد العام هذا الحديث فى حديث الثلاثاء ويشرحه لمستمعيه قائلاً :

والأعوج فيها رأسها ، والمعتدل فيها قلبها ، فكل معاملة معها يجب أن تكون على أساس من السياسة واللين لا على المنطق والفلسفة .)

ويقول « البهى الخولى » تعليقاً على نفس الحديث :ـــ

(إن إغضاء المرء عما لا يرضى من حال زوجته يكفل له إقباله على الاستمتاع بها ، ولا يحرمه تلك السعادة ، والرسول عليه السلام لا يعنى بما قدمنا أن المرأة مخلوق شرير شرس ، إنما يريد ـــ كما ذكرنا ـــ تقرير الحقائق ليخرج المرء عن أحلامه وأوهامه .)

إذاً فالإخوان يعتبرون أنه من الأوهام الاعتقاد بسلامة المرأة .. فى نفس الوقت الذى يسوقون الحجج لإظهار أنفسهم بمظهر المدافعين عن النساء والمنقذين لهن من وحشية الحضارة الحديثة ... !!!

إن أدبيات الجماعات الإسلامية مليئة باستدعاءات من تراث الأحاديث والآيات والمواقف التاريخية تؤكد جميعها أن النظر للمرأة لم يكن أبداً يقوم على أساس مساواتها بالرجل فى الإنسانية ، بل يقوم على كونها جسداً يرضى نزعاته الجنسية ففى كتاب أبى حامد الغزالى « إحياء علوم الدين » الذى أعادت الجماعات طباعة الجزء الخاص بالمرأة فيه تحت عنوان « الزواج الإسلامى السعيد » حديث موجه إلى الرجال بشأن النساء :ـــ

(ينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شرهن ، فإن كيدهن عظيم ، وشرهن فاشٍ والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة .) *

---

* حسن البنا ـــ حديث الثلاثاء ، سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور مكتبة القرآن ص ٣٨٣

* أبو حامد الغزالى ـ الزواج الإسلامى السعيد ـ المصدر السابق ص ٨٠ .

وكان على بن أبى طالب يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء ، البخل والزهو والجبن ، فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها ، وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مرتب ، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها .)*

إذاً فتلك هى الصورة المثلى التى تريدها الجماعات الإسلامية للمرأة :ــ جبانة ــ بخيلة فى مقابل صورة الرجل الكريم ــ الشجاع ... حيث تكون نقيضه الذى يجمع بداخله النواقص والمثالب ويكون ذلك هو مبرر خضوعها له .

وعلى النساء من وجهة نظر الجماعات الإسلامية ألا يتبرمن من تلك الصفات السلبية ومن هذا الوضع الدونى ، وأن يقتنعن بأن هذا هو الخير كما تطالب بذلك النشرات الدعائية التى يوزعونها بين الحين والآخر على طلاب الجامعات ويملأونها بشوارد الأحاديث والحكايات ومنها تلك الحكاية :ــ

(روى أن أسماء بنت يزيد الأنصارى رضى الله عنها أتت إلى النبى ﷺ وهو بين أصحابه فقالت يارسول الله إنى وافدة النساء إليك . إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ، وإنا معشر النساء محصورات قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وأنتم معشر الرجال فُضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى ، وشهادة الجنائز ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو مرابطاً أو معتمراً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم ... أفما نشارككم فى هذا الخير والأجر يارسول الله ؟

فالتفت النبى ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال :ــ هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذا عن أمر دينها ، فقالوا يارسول الله ماظننا امرأة تهتدى إلى مثل هذا فالتفت النبى ﷺ ثم قال :

« انصرفى أيتها المرأة ، وأعلمى من خلفك من النساء أن طاعة ــ الزوج ــ اعترافاً بحقه ــ يعدل ذلك . وقليل منكن من يفعله . »*

---

* أبو حامد الغزالى ــ الزواج الإسلامى السعيد ــ المصدر السابق ص ٨٠ .

* لجنة النشاط الثقافى والسياسى بكلية الطب البشرى ــ جامعة الأسكندرية الاختلاط بين الجنسين فى نظر الإسلام ــ بدون تاريخ ص ٣٢ :

إذاً فهذا التصور الذى يرفع مكانة الرجل إلى حد التقديس والاعتراف بحقه وتبجيله لاحتكاره المهام ذات الشأن الاجتماعى هو نفسه الذى يخفض من قيمة المرأة ويقلل شأنها وشأن قدراتها العقلية والنفسية .. ويفيض كتابهم فى الحديث عن ضعفها الجسدى والمعنوى وعدم استقامة نفسيتها كما رأينا من قبل ، وحتى فى محاولة بعض شيوخ الجماعات الإسلامية فى التذاكى وإلباس تلك الأفكار ثوباً عصرياً ، فإن محاولاتهم تكشف عن مزيد من التناقض بين الصيغ الإنشائية لإعلاء شأن المرأة التى يطنطنون بها فى الخطب الدعائية ، وبين تصورهم الدونى عنها كما ينعكس كلما استرسل الخطيب أو الكاتب فى الحديث ....

فالشيخ محمد الغزالى ـــ الذى يأخذه الحماس فى الرد على العلمانيين ـــ يحاول أن يتنصل من هذا التناقض بمحاولة إرجاعه إلى من يسميهم بالمترمتين ولكن الكرة سرعان ماتعود إليه مرة أخرى لأن الحقيقة لابد أن تكشف عن نفسها مهما برع الأشخاص فى القدرة على التزييف فهو يقول : (إن القماءة الفقهية عند بعض المشتغلين بالعلم الدينى أحرجت الإسلام كثيراً ومكنت خصومه من خناقه .)*

ولكن على الرغم من هجومه الواضح على من يدعوهم بالمترمتين ، فإنه لا يستطيع إلباس تلك الأفكار زياً عصرياً متفتحاً وأن يخلصها من الإحراج النابع من تناقضاتها الداخلية ، حيث يقع هو فى نفس الحرج حينما يتصدى للتعليق على الحديث النبوى « النساء ناقصات عقل ودين . » فيقول :ـــ « والمرأة على ضعفها تحب أن تغلب غيرها وتعرض نفسها ، قد تقول وماهذا الضعف ؟ والجواب فى تكوينها الخلقى ، فإنها تضحى عليلة أو شبه عليلة خلال الدورة الشهرية التى تعتادها ، وتؤثر فى أعصابها وأفكارها ، وزاد الطين بلة فى تأليب المرأة المعاصرة على الإسلام أن البعض فسر نقصان العقل بالحماقة ونقصان الدين بالمعصية ، وعد الأنوثة ترادف الخسة والهوان ، وهذا التفكير امتداد للجاهلية الأولى ، وهو بعض مايشين النفسية العربية ، والإسلام برىء من هذا اللغو . »*

والقضية ـــ أيها الشيخ ـــ ليست تجميل أو تزيين تلك الأفكار ، وليست تذاكى البعض لاجتذاب أكبر عدد ممكن من جمهور النساء ، لأنه مهما بلغت قدرة الخطيب

---

* محمد الغزالى ـ سؤال عن الإسلام ـ الجزء الثانى ـ دار ثابت .

* محمد الغزالى ـ سؤال عن الإسلام ـ المصدر السابق .

أو الكاتب التبريرية فإن هناك حدوداً للمفاهيم الأساسية فى هذا المعسكر لايمكن تخطيها ، فالغزالى الذى يستنكر تصوير المحدثين لنقصان العقل بأنه حماقة ويصرخ بأن هذا ليس من الإسلام فى شيء ، نجده فى مواضع أخرى يقول : إن الدورة الشهرية تؤثر فى الأعصاب والأفكار ولذا فإن النساء ناقصات عقل ، فهو إذن ينفى شبهة وصف النساء بالحماقة ، ولكنه يؤكد على نقصان عقل المرأة ، بما يعنى فقدانها السيطرة على الأعصاب والأفكار فى زمن الدورة الشهرية ؟

وهذه هى الحماقة ــ أيها الشيخ ــ تنفونها حينما تواجهون بها صراحة ، وتؤكدونها كصفة لصيقة بالنساء فى مواضع أخرى ، ولذلك يتضح أمامنا دائماً أن الأمر لايتعلق فى النهاية بمهارة الخطيب والكاتب أو بحسن نواياه ، لأن هناك نسقاً فكرياً عاماً يحدد فى النهاية إطار حقوق الفرد ومكانته فى المجتمع الذى يبغونه ليحمى ملكية السادة الرجال دائماً ولذلك لن ندهش إذا وجدنا أن موقف الجماعات الإسلامية من أقصى يمينها إلى أقصى يسارها تجمعه أسس واحدة لايمكن تخطيها ، وخصوصاً بالنسبة لقضية المرأة التى هى محورية فى فكر تلك الجماعات .

فالشيخ محمد الغزالى ــ وهو من الوجوه التى تبدو معتدلة لدى الإخوان المسلمين ــ لايرى فى تعدد الزوجات ضرراً بالزوجة الأولى ولايمكن أن يوافق على تدرج المرأة فى المناصب حتى ترأس الرجال فهو الذى يقول :

(ومن الصعب أن تكون المرأة ربة بيت متقنة وصاحبة منصب منتجة .)*

أما « البهى الخولى » فيقول إنه بدخول المرأة كليات الزراعة والصيدلة (لم يجعلها تجنى إلا أنها خرجت من نطاق الرقة ومشاعر الأنوثة التى خصتها بها الطبيعة إلى الاسترجال الخشن .)*

وهو هنا يختزل معنى الأنوثة إلى درجة أقل من المعنى الذى تروجه شركات التجميل وإعلانات المساحيق عن المرأة اللينة « كالملبن » والتى تستخدم كأداة استمتاع وإشباع لغرائز الرجل ...

وليس من الغريب أن نسمع بعد ذلك عن أحد الإخوان المسلمين يطالب من فوق

---

* محمد الغزالى ــ سؤال عن الإسلام ــ المصدر السابق .

* البهى الخولى ــ المرأة بين البيت والمجتمع ــ من رسائل الاخوان المسلمين ــ مطابع دار الكتاب العربى بمصر ــ ١٩٥٣ ص ١٠٣ .

منبر مجلس الشعب بعد أن خاض تجربة الانتخابات العصرية ونجح تحت شعار « الإسلام هو الحل » فيصدقه الجمهور وينتخبه الرجال والنساء ليطالب من فوق منابر هذا المجلس بحق الرجل فى تزوج أربع من النساء دون إذن الزوجة الأولى ، بحجة أن هناك من الرجال الميسورين من لا تكفيه زوجة واحدة وهو يستطيع أن يغطى نفقاتها بما أعطاه الله من رزق ، كما فعل النائب محمود المراغى فى دورة مجلس الشعب الماضية (٨٤ ــ ٨٧) وكما اتخذ العضو « محمود نافع » إخوان مسلمين أيضاً من موضوع المرأة حجة لإعداد قانون يلزم المرأة العاملة بارتداء الزى الشرعى ، ثم يلتقط منه طرف الحديث الشيخ صلاح أبو إسماعيل ، ليطالب بأنه (قد آن الأوان بعد التعديلات الدستورية الإسلامية أن نضع للديمقراطية حدوداً .)* ؟؟؟

هذا الشيخ الذى يطالب بوضع حدود للديمقراطية وأن يذبح كل الأفكار والآراء المخالفة لهم يدعى الاعتدال حينما يكون مطلوباً .. ولكنه فى جوهر الأمر لا يختلف عن الدكتور عمر عبد الرحمن مفتى جماعة الجهاد الذى وقف يهاجم :

(النظام الشرعى المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض ، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى فى الميراث ليس بإنصاف بل يلزم استواؤهما فى الميراث ، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم ، وأن الطلاق ظلم للمرأة وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك .)*

فيالرقة الشيخ الذى يريد استبدال كل القوانين المدنية بأخرى تحلل الرجم والقطع وتعدد الزوجات .. وغيرها من الأحكام التى يوافقه عليها الشيخ الغزالى والبهى الخولى وصلاح أبو إسماعيل وأعضاء مجلس الشعب عن التيار الإسلامى .. والخلاف الأساسى بين الإخوان والجهاد ... أن الإخوان يحاولون تمرير تلك القوانين دون تعجل الصدام المباشر مع السلطة القائمة الآن ، حتى إذا تمكنوا وأحسوا أن موازين الحال أصبحت فى صالحهم فلا يبقى أمامهم إلا تنفيذ تلك القوانين بكل الوسائل بعد تصفية خصومهم أما الجهاد فيدفعهم تعجلهم إلى الصدام الدائم مما يؤدى إلى إضعاف قواهم أولا بأول ...

---

* صلاح أبو إسماعيل ــ مجلة الدعوة ــ العدد الخمسون ــ السنة الثلاثون ٤٢٤ يوليو ١٩٨٠ م .

* عمر عبد الرحمن ــ كلمة حق ــ دار الاعتصام ص ٦٢

إن قوانين الجماعات الإسلامية ومبادئها واحدة ... والاختلاف فى الأساليب بشكل يجعل البعض يجاهر باستخدام العنف أما الآخرون فهم يؤجلونه إلى فرصة أخرى تسنح لهم بعد أن تكون دعوتهم قد استشرت دون أن تحيط بها صيحات الاستنكار مما ينقذها من الصدمات غير المحسوبة ... وهذا هو الأخطر .. لأنه حين تسنح لهم الفرصة فإنهم لن يبقوا ولن يذروا ...

ثم إن جماعة الجهاد وغيرها من الجماعات التى توصف بالتطرف ما هى إلا محض انشقاقات خرجت جميعاً من عباءة الإخوان المسلمين الذين يوصفون بالاعتدال بينما هم « فراخة » كل التيارات السياسية الإسلامية . ولكن طبائع الأمور تكشف ستار الاعتدال ....

وكما نرى فى إطار القضية موضوع الدراسة الآن ..

اعتدال الإخوان هو الذى يصف المرأة بالشيطانية ، وهو الذى أعاد طباعة كل التراث المؤكد على دونية المرأة ، وهو الذى عمل على ترجمة أفكار أبو الأعلى المودودى من « اللغة الأوردية » المنتشرة فى وديان باكستان لتقديمه إلى الجمهور المعاصر على أنه المثل والنموذج وهو الذى يعيد طباعة فتاوى ابن تيميه التى كان يقدمها لسلطان المماليك أيام هجوم التتار ليحكم بها عصرنا الحديث ...

نعم إن اعتدال الإخوان المسلمين هو الذى يقود حملة الهجوم على المرأة فى الجامعة والنقابات المهنية وفى وسائل الإعلام المختلفة .... اعتدالهم هو الذى اختار قضية المرأة ليصب عليها غضب المجتمع بأكمله ويضع على أكتافها كل أخطائه وعيوبه ...

وتعكس تلك التصورات المتشددة نفسها بوضوح وسط جمهور الجماعات الإسلامية ، ففى إحدى مطبوعات لجنة النشاط الثقافى والسياسى بكلية الطب جامعة الأسكندرية نجدهم يستشهدون بحديث يفضل لمس الخنزير الملطخ على لمس المرأة التى هى فى موضعهم هذا زميلة دراسة :ـ

(روى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :ـ

إياك والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له .)*

---

* لجنة النشاط الثقافى والسياسى بكلية الطب البشرى ـ المصدر السابق ص ٢٧

ذلك من الصيغ التى تملأ صفحات وصفحات تطمس فى الحقيقة صورة دونية للمرأة

فهكذا تروج الجماعات الإسلامية وسط شباب الجامعات وفى كلية يفترض أن يسودها مناخ البحث العلمى والموضوعية وتتطلب الدراسة فيها تساوى الفتى بالفتاة فى المدرج والمعمل والمشرحة .

ونجد فى نفس النشرة :ـــ

(قال رسول الله ﷺ :ـــ لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له).. رواه الطبرانى والبيهقى .

وقد سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام ابنته فاطمة وقال لها « يافاطمة أىّ شيء خير للمرأة ؟

قالت : أن لاترى رجلاً ولا يراها رجل ، فضمها إلى صدره مسروراً وقرأ قوله تعالى : (ذرية بعضها من بعض) . »*

وهكذا تمتلىء النشرات التى تطبعها الجماعات الإسلامية وتوزعها على طلاب الجامعة بأمثال تلك الأحاديث والحكايات التاريخية التى تشعر الفتاة بأن كل شيء حرام عليها حتى نفسها ، وتشعر الفتى بأنه الكائن الأعلى فيزداد الاضطراب والهوس الجنسى المقنع بين الطرفين ، ويصبح موضوع عدم الاختلاط والحجاب هو مصب الاهتمام ومحور المناقشات .

فهل لازالت الجماعات الإسلامية تصر على أن دعوتهم تكرم المرأة حين تصفها بأنها تأتى على هيئة شيطان ؟ أم ترفع قدرها حين تعتبرها مجرد حصيرة :ـــ « لحصير فى ركن البيت خير من امرأة لاتلد »* أم تحافظ عليها حفاظاً حقيقياً حين توصى بـ :ـــ

« أن من يُمن المرأة تيسير خطبتها ، وتيسير صداقها ، وتيسير رحمها »* .

فياله من حفاظ ورحمة تلك التى تتعامل مع المرأة وكأنها مصيبه يجب أن تنزاح سريعاً .

إن صيغة أفعل التفضيل الإنشائية التى تستخدم دائماً فى دعاية الجماعات الإسلامية مثل « أعلى من شأن المرأة وكرمها أفضل تكريم ورفعها إلى أعلى قدر . » ، وخلاف

---

* لجنة النشاط الثقافى والسياسى ـ المصدر السابق ص ٢٧

* أبو حامد الغزالى ـ الزواج الإسلامى ـ المصدر السابق ص ٢٢

* محمد مهدى الاستنابولى ـــ تحفة العروس أو الزواج الإسلامى السعيد ص ٨٠

ذلك من الصيغ التى تملأ صفحات وصفحات تطمس فى الحقيقة صورة دونية للمرأة لاترقى فيها إلى مرتبة البشر من الرجال ...

وأبو الأعلى المودودى المنظر الفكرى للجماعات الإسلامية لايذهب بعيداً حينما يقول فى كتاب تفسير سورة النور فى معرض التعليق على الحديث النبوى :ـــ « استأخرن فإنه ليس لكُن أن تحققن الطريق ـــ أى تركبن حقها وهو وسطها ـــ عليكن بحافات الطريق . »*

يقول تعليقا على ذلك :ـــ

« كانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به . »*

فأى حالة من الدونية والهوان تلك التى تفرض على النساء أن يتمسحن كالهوام فى الجدران حتى يتركن عرض الطريق وجنباته للسادة الرجال يسيرون فيه مختالين .. فخورين .. أى حالة من انعدام الشأن الاجتماعى تلك التى يبلورها حديث كهذا تنشره الجماعات الإسلامية وسط الشباب والشابات الآن ؟

وأى حالة من الدونية يريدونها للمرأة بنشرهم لحديث يذكره الغزالى فى متن كتابه : « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات . »*

فكيف ستتعامل المرأة مع نفسها إذا صدقت أنها عورة ، لاليست عورة واحدة .. بل عشر عورات ... ؟ وكيف سيتعامل معها الرجل إذا صدق أنها عورات مركبة ، وأنه حتى إذا تكرم وتعطف عليها بستر عورة واحدة ، فستظل أبد حياتها تنوء بالتسع الأخريات .. لاتعرف كيف تغطيها أو تواريها ... ؟

وأى حالة من الكراهية للذات تلك التى يسببها تصور أنه لن يسترها إلا الموت وإهالة التراب فوق جسدها مبعث الشرور والمفاسد من وجهة نظر الجماعات الإسلامية ... ؟

---

* أبو الأعلى المودودى ـ تفسير سورة النور ـ ص ١٧٦
أبو الأعلى المودودى ـ تفسير سورة النور ـ المصدر السابق

* أبو حامد الغزالى ـ الزواج الإسلامى السعيد ـ المصدر السابق ص ١٠٩

الفصل الثالث

انزلى إلى سوق العمل ....
ولكن بشروط

لم يكن حدثاً فريداً من نوعه حينما وقف الشيخ يوسف البدرى أحد نواب التيار الإسلامى ــ يطالب فى مجلس الشعب :ــ (بعدم تعيين الإناث فى الوظائف الحكومية من أجل القضاء على ظاهرة البطالة .)*

فقد سبق ذلك مواقف كثيرة مشابهة ، وحتى الآن نجد من يطالعنا بين الحين والآخر بفتاوى مصبوغة بصبغة الأحكام المقدسة النهائية عن أن المرأة : (بعملها تروج البطالة وتسد أبواب رزق أطفال آخرين ....)*

إن الدعاية الإسلامية التى صنعت من قبل أرضية واسعة لدونية النساء وتخلفهن الخِلقى والخُلقى والعقلى ، تدعى أن هؤلاء القاصرات .. الضعيفات هن سبب البطالة وهن اللاتى يسرقن قوت الرجل ويزاحمنه فى الحياة العامة ، وتكون النتيجة أزمة المواصلات وازدحام الطريق وتلوث الهواء ومعاناة الأبناء من سوء خدمات الحضانة والتعليم وعدم توافر الرعاية الصحية وانحراف الأولاد والبنات وزعزعة كيان الأسرة ...

صورة مأساوية يرسمونها ويطلقونها فى وجه جمهور من صغار الموظفين والتكنوقراط وطلاب الجامعات وصغار التجار والحرفيين الذين يكتوون يومياً بنار الفقر والأسعار المرتفعة ، والجنيهات القليلة التى تطارد حاجياتهم الأساسية فلا تكاد تلحقها ، ولا يجدون فى النهاية إلا المزيد من الحرمان ... إنه جمهور مذعور يختنق داخل دائرة الأزمات ، يخاف الغد ولا يعرف أى تهديدات جديدة يحملها له .. يبحث عن حل يداعب أحلام الصعود الفردى لديه وتحقيق بعض المكاسب ... حل لا يصطدم مع التكوين النفسى المحافظ بل يقدم المبرر التنظيرى للجمود الفكرى ، وليس هناك من يقدم حلولا تحافظ على الامتيازات المتوهمة وتغازل نزعات حب التملك والفردية سوى

---

* مجلة أكتوبر ـ عدد ٣ يناير ١٩٨٨ ص ١٣ ـ احتجاج نسائى على الشيخ البدرى .

* محمد عبد المتعال الجبرى ـ المرأة فى التصور الإسلامى ـ مكتبة وهبة ص ٧١ .

الجماعات الإسلامية بطريقتها الديماجوجية التى تقدم للشباب والرجال مفهوماً للرجولة يرادف فى كثير من الأحيان صفات أنصاف الآلهة الأذكياء .. كاملى العقول فى مقابل جهل ونقص عقل النساء وبالتالى المطالبة بأحقيتهم فى السيادة .

وليس من الغريب أن تتبنى نساء البرجوازية الصغيرة من الطالبات وصغار الموظفات وربات البيوت تلك الأفكار ــ على الرغم من كونهن كنساء موضوع الهجوم ــ لأن هناك بعدا آخر تقدمه دعاية الجماعات الإسلامية بين طيات هذا الهجوم ، وهو الظهور بمظهر الحرص على راحة النساء وتكريمهن بوعد التخلص من المتاعب اليومية وحل كل المشاكل بالإسلام ، فهل تريد تلك الجماعات عودة المرأة العاملة فى جميع المجالات إلى البيت عودة قاطعة ونهائية ... ؟

واقع الحال يقول إن خلف تلك الدعاية موقفا آخر . يتضح من تأمل معظم نصوصهم أنهم يفتحون ثغرة فى نهاية الحديث يمررون منها تحليل عمل المرأة ، ولكن ليس على إطلاقه ، بل بشروط صارمة تكشف عن نواياهم الحقيقية تجاه نوع الدور الاجتماعى الذى يبغون إسناده للنساء فى مجتمعهم ...

يرى أحد منظريهم أن (الضمانة الكبرى لبقاء الأمور على نهجها السوى هى ألا تنزل المرأة إلى ميدان العمل من أجل الرزق إلا فى أضيق الظروف والحالات الضرورية .)*

فماذا تخفى ثغرة « إلا » .. هل هى دليل عدم تشددهم ؟!هل هى دليل تسامحهم كما يدعون ... ؟

هل هى للرأفة بهؤلاء النسوة المجرمات المتوحشات سارقات قوت الرجال ومشردات الأطفال ... ؟ وماهى أنواع العمل الذى يسمحون به ..

وماذا ينتج عنه من تصنيف فى الوضع الاجتماعى للمرأة ... ؟

ولمصلحة من يكون السماح بأنواع معينة من العمل وتحريم أنواع أخرى ... ؟

أسئلة كثيرة لايجيب عنها سوى القراءة المتفحصة لأفكارهم كما عبروا عنها ... .

والحقيقة أن فى حديث الجماعات الإسلامية عن الأزمات التى تواجه المرأة العاملة من حيث سوء الخدمات المقدمة .لهن حيث لادور للحضانة ولارعاية صحية

* د . محمد البوطى ــ إلى كل فتاة تؤمن بالله .

ولا مواصلات تحافظ على إنسانيتهن وغيرها من المشاكل جوانب كثيرة من الصحة ، فهى أزمات حقيقية تطحن النساء يومياً وتدفعهن إلى درجة قاتلة من اليأس فتتمنى المرأة لو استراحت ولو كان ذلك بترك العمل ولكنها لاتملك حرية الاختيار تحت وطأة سوء أحوالها وأحوال أسرتها الاقتصادية فتواصل المسيرة بمزيد من السخط المتراكم ...

وصحيح أن هناك معدلات بطالة عالية يعانى منها المجتمع — كما ترصد دعاية الجماعات ويكرر شيوخها فى كل مكان — ، وكما تحس جماهير الشباب والشابات ...

ولكن هل خروج المرأة إلى العمل هو الذى خلق حالة البطالة ... ؟ أم أن آليات النظام الرأسمالى الذى نزلت المرأة إلى سوقه هى المسئولة عن البطالة وعن غيرها من الأزمات كارتفاع الأسعار والتضخم والركود ... ؟

وهل تتصور أيديولوجيا تلك الجماعات أنه يمكن القضاء على النتيجة دون القضاء على السبب ... ؟

إن طريقة عرضهم للقضية تعمد دائماً إلى طمس الإجابة على السؤال الأساسى : وهو من الذى صنع البطالة ... ؟

من الذى يراكم تلالا من الثروات تختمها له الجماعات الإسلامية بخاتم الرزق الحلال ... بينما الجماهير التى يدعون الدفاع عنها تعانى الفقر والجوع ... ؟

من الذى جمع مدخرات متوسطى الحال من الرجال والنساء واحتكر السوق وتلاعب بالأقوات تحت الشعارات الإسلامية الرنانة ... ؟

إن إلقاء كل أوزار المجتمع الصناعى الحديث على كتفى المرأة العاملة لا يحل أياً من المشكلات ... بل يعطى الفرصة كاملة لصانعى بؤس الجماهير من الرأسماليين للتخلص من مشاكلهم وتجديد نشاطهم وتوسيعه حينما يغض المجتمع نظره عنهم ، ويصرف غضبه إلى إشعال النار بين الرجال والنساء الذين هم فى الحقيقة موضوع الاستغلال ...

وربما يكشف الحوار التالى المأزق الذى تقع فيه دعاية الجماعات الإسلامية ، حينما ترمى كل تبعات الأزمة على أكتاف النساء فيظهر تناقضهم الفكرى واضحاً ... يقول الشيخ الشعراوى : (هى فى الواقع لم تخفف من شقائه ، فهو مازال فى تعبه والحقيقة

أنه مازال شقياً ، وازدادت هى شقاء ، فهو لم يأخذ نصف عمل فى الخارج ، فما زال يعمل عمله ، وإذا تعللت بمشاركة الزوج فى عمله لتزيد الدخل لمستوى حياة أكبر ، فليس المفروض فى الإنسان الذى له قيم سماوية أن يفرض مستوى الحياة أولاً ــ التأكيد هنا بالبنط العريض ــ وبعد ذلك يحمل الدخول عليه .

لا ... المفروض أنه على قدر دخله يحدد مستوى الحياة ، والذى يتعب الناس هو أنهم يحددون أولا مستوى الحياة (تأكيد مرة أخرى) ثم إذا لم يكف الدخل يبدأوا فى عمل الأشياء الأخرى ، فقد ينحرفون أو يرتشون ، فالمستوى لا يحدد إلا على أساس الدخل وحينما يسأله المحاور :ــ « فى أغلب البلاد العربية والإسلامية لا يستطيع الرجل أن يحدد المستوى طبقاً للدخل لأن الدخل أصلاً ليس متناسباً مع الطاقة ، فيمكن أن يشتغل فرد أشغالاً شاقة ولا يدخل إليه العائد الذى يتناسب مع جهده . » فيجيب عليه « الشيخ الشعراوى » إجابة سريعة وعامة :ــ

« هذا فساد فى نظام الحكم »*

والشيخ الشعراوى يعرف أن عمل الرجل لم ينقص من حيث الكم فهو لم يأخذ نصف عمل ، وأن المرأة أيضاً تعمل ، ولم تأخذ نصف عمل ، وأن عائد عمل الرجل لا يكفى الأسرة ، وأن إضافة عائد عمل المرأة لا تكاد تغطى الاحتياجات الأساسية . وبرغم كل ذلك فلم يلفت نظره سؤال :ــ

إذن أين تذهب عوائد عملهما معاً ؟ وهو يلجأ إلى صيغة تبرر استغلال عمل الرجل والمرأة معاً بقوله :ــ

« إنه ليس من المفروض فى الإنسان الذى له قيم سماوية أن يفرض مستوى الحياة أولاً »

إذن ماهو المفروض عليه أيها الشيخ :ــ

أن يرضى بالعيش تحت خط الفقر بينما الرأسماليون يحققون المزيد والمزيد من تراكم الثروة ... ؟

أن يبذل المزيد من العمل حتى يذهب عائد عمله إلى الرأسمالى الذى يحقق نموه باستغلال عمل الرجال والنساء ... ؟

---

* الشيخ محمد متولى الشعراوى ــ المرأة المسلمة والطريق إلى الله ــ مكتبة القرآن ص ٢٠

وحينما يفرض السؤال نفسه على المحاور ، فإن الشيخ الشعراوى الذى يفيض فى كيل الهجوم للنساء ، ويتهمهن بأنهن سبب البطالة والفقر وشقاء الرجال ، فإنه يجيب إجابة عامة حول فساد الحكم ، فلماذا هو فاسد .. لا يجيب الشيخ ، لا لأنه لا يعرف بل لأنه ....

○ ○ ○

والأدهى من ذلك أن الجماعات الإسلامية لاتصرخ فى وجه النساء بأنهن مسببات البطالة وسارقات القوت من الرجال فقط ، بل هى تحاول إقناع المرأة التى لاتزال حديثة الخروج إلى العمل بأنها فاشلة ، لاتستطيع أن تفعل شيئاً ، حتى تفقد الثقة فى قدراتها وترضى بأى وضع يختارونه لها .

فهذا أبو الأعلى المودودى يقول :ــ

(وحديثاً قد ثبت لدى الدوائر الرسمية والمؤسسات التجارية فى مصر أن النساء الشاغلات لمختلف مناصبها ــ ويبلغ مجموع عددهن ١١٠ آلاف امرأة ، أثبتت أغلبيتهن عدم جدارتهن لما قمن به من الأعمال . وليست قدرتهن على العمل أكثر من ٥٥٪ بالنسبة لقدرة الرجال .

ومما قد اشتكته معظم المؤسسات التجارية فى مصر أن السر عند النساء كالماء فى الغربال . وكل مايحصل فى بلاد الغرب من حوادث الجاسوسية لايكون معظمها إلا على أيدى النساء أو عن طريقهن .)*

وإلى جانب مايحتويه هذا الكلام من عدم موضوعية تصل إلى حد الوقاحة ، لحصر الجاسوسية فى النساء أو عن طريقهن وتعميم ذلك ، مما يندرج تحت الدعاية الرخيصة ، التى يلجأ إليها دعاتهم فى محاولة لتزييف الحقيقة ، فإن « المودودى » لايقول لنا من أين حصل على مثل هذه الإحصائية لعدد النساء العاملات ، وقدرتهن على العمل بالنسبة للرجل ، فإحصائية من هذا النوع أو قياس تقريبى من هذا النوع ، لايرد إلا فى إطار رفض عمل النساء ... لا الإقبال على تشغيلهن كما كان يحدث فى الفترات السابقة من تاريخ مصر ، الذى يفترض أنه نفس زمن كتابته للادعاء السابق ، حيث توفى المودودى قبل صعود الجماعات الإسلامية فى مصر فى السبعينيات وما

---

*أبو الأعلى المودودى ــ الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ص ٢٦٤ .

صحب ذلك من حملة دعائية مكثفة قاموا بها ضد النساء ، لقد كتب المودودى نصه السابق فى فترة كانت المرأة المصرية لا تزال تناضل من أجل الخروج إلى العمل ، وبذل مجهود كبير فى إطار الإبداع وإثبات الذات ، وربما تكون تلك الأخبار لم تصل المودودى فى باكستان بسبب صعوبة المواصلات ، أو أنه أراد أن يستغل جهل أهل باكستان بشئون مصر البعيدة فأفاض فى الحديث عنها ... أما أن تعيد الجماعات الإسلامية طباعة مثل هذا الكلام لنا فى مصر ، فهو شىء يدعو إلى الرثاء ... ! ! !

ثم إن المودودى لم يوضح ماهى أنواع العمل التى يشغلها هؤلاء النسوة ، أهى أعمال قيادية وهو مالم يتحقق فى مصر حتى الآن بمثل هذا العدد الكبير .. أم أنها أعمال عادية وصغيرة مما لايدفع المسئولين إلى مثل هذا الصراخ الرسمى الذى يتردد فى باكستان ولايتردد فى مصر ... ؟ وهل هؤلاء النساء موظفات أم عاملات أم غيره ... ؟ إن إغفال المودودى لذكر مصدره ، والطريقة الديماجوجية التى استخدمها تجعلنا نشك جملة وتفصيلاً فى الحديث .

وخصوصاً أن الباحثين فى قضية عمل المرأة لم يسمعوا عن تلك الإحصائية ، وإلا لأقدموا على استخدامها فى أبحاثهم التى كثيراً ماتشكو من نقص المسح الميدانى ، وفى الحقيقة أنه إذا قام جهاز أو جماعة أو فرد بمثل هذا الإحصاء المقارن بين قدرات النساء وقدرات الرجال ، فإنه سيكتشف أبعاداً أخرى للموضوع يلمسها أى ملاحظ للوضع : -

١ -لايمكن وضع كل أنواع العمل سواء كانت تخص الرجال أو النساء فى سلة واحدة .. وأن عملاً كهذا لا يعمد إليه إلا من يضع هدفاً مسبقاً لإصدار حكم تعسفى على طريقة دعاية الجماعات الإسلاميه .

٢ -« تشير الإحصائيات إلى أن عدد النساء العاملات فى مصر قد قارب حالياً المليونين ، وهن يمثلن ١٥٪ من إجمالى القوى العاملة فى القطاعين العام والخاص ، وأن العدد فى ازدياد مستمر وبمعدل يصل إلى حوالى عشرين ألف عاملة سنوياً ، وبلغ عدد شاغلات الوظائف العليا (وكيل أول ، وكيل وزارة ، ومدير عام) عام ١٩٨١م بالكادر الحكومى والقطاع العام ١٧٢ سيدة ....

وبلغ عدد السيدات اللائى يشغلن مناصب أعضاء هيئة التدريس ومعاونيها بالجامعات عام ١٩٨٣/ ١٩٨٤. م منصب (أستاذ ـ وأستاذ مساعد ـ ومدرس) ٢٢٢٧ سيدة بنسبة ٢٠,٥٪ .

(منصب معيد ـ ومدرس مساعد) ٤٧٢٤ سيدة بنسبة ٣٠,٤٪ . »*

وتلاحظ محيا زيتون فى بحث « نحو أساس موضوعى لتقييم دور المرأة العربية فى النشاط الاقتصادى أن : ـ

نسبة مساهمة النساء (بما فيهن العواطل) فى النشاط الاقتصادى منخفضة أصلاً انخفاضاً كبيراً ، وإذا كانت نسبة العواطل فى قوة العمل مرتفعة إلى هذه الدرجة فيؤكد هذا ، المكانة المتدهورة للمرأة فى النشاط الاقتصادى .

فجملة نصيب المرأة من قوة العمل بالنسبة لعدد العاملين فى كافة القطاعات ٧,٤٪ فى حين أن المعدل العالمى هو ٤٨٪ .

ثانيا : إن نوع العمل الذى تشغله النساء يتركز فى ثلاثة قطاعات رئيسية هى الزراعة والمهن والخدمات ، وإذا أخذنا قطاع المهن مثلاً لنعرف المكانة التى يحتلها عمل المرأة فيه فعلياً فسنجد أن ٦٢,٢٪ من المدرسات يعملن بالمدارس الابتدائية مقابل ٤٢,٦٪ من المدرسين ، ٢٩,٩ بالمائة من المدرسات فى المرحلة الإعدادية والثانوية مقابل ٤٦,٤ بالمائة من المدرسين : « إن الرجال يمثلون ٩٤,٨ بالمائة من المهندسين بينما يمثل النساء ٥,٢ بالمائة فقط . »*

وهكذا كلما ارتفعت المهنة واحتلت مكانة أعلى فى السلم الاجتماعى فسنجد أن الرجال هم الذين يسيطرون عليها ، أما النساء فإما أنهن يشغلن نسباً ضئيلة جدا ولا تكاد تمثل شيئاً بالمقارنة مع زملاء العمل من الرجال ... وإما أنهن لا يتواجدن أصلاً فى تلك المهنة ...

« ويمكن القول أن الانخفاض الشديد فى أجر المرأة بالمقارنة بالرجل قد يرجع أساساً إلى تركز النساء فى الوظائف الدنيا داخل المهن المذكورة .. ففى الطب مثلاً حيث أجر المرأة يبلغ ٢٠ بالمائة من أجر الرجل ـ يرجع التباين إلى أن النساء يمثلن أغلبية فى مهنة التمريض ذات الأجر المنخفض ، بينما الرجال يمثلون أغلبية فى الطب . »

---

* إقبال بركة ـ تأثير الفكر العربى المعاصر على حركة المرأة ، بحث مقدم إلى المؤتمر الأول لجمعية تضامن المرأة العربية .

* محيا زيتون ـ نحو أساس موضوعى لتقييم دور المرأة العربية فى النشاط الاقتصادى ـ بحث مقدم إلى مؤتمر جمعية تضامن المرأة العربية .

لهذا فالتفاوت الشديد يعكس موقع الغالبية من النساء فى الوظائف الدنيا من جهة ، وأيضا الهيكل الوظيفى الهرمى البالغ التدرج والذى يقابله هيكل مماثل للأجور .

وإذا كانت النساء تشغلن تلك النسبة الضئيلة من قوة العمل ، ويتركزن فى أدنى درجات السلم الاجتماعى ويقل عدد المشتغلات كلما تدرجنا إلى أعلى ...

فلماذا تعمم دعاية الجماعات الإسلامية الحديث عن المرأة مسببة البطالة ... ؟

فى نفس الوقت الذى تقنن فيه أدبياتهم لتركيز قوة عمل النساء فى أدنى درجات السلم الاجتماعى ، ومناهضة أية إمكانية لترقى المرأة أو تدرجها فى المناصب القيادية :ـــ

« أجمع الفقهاء الأقدمون على أن المرأة لاتتولى الإمامة الكبرى « الخلافة » لقول الرسول : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، ولأن هذه الوظيفة تتطلب الاختلاط بالرجال والخلوة معهم ومفاوضتهم وهذا محرم شرعاً ولأسباب تتعلق بتكوين المرأة نفسياً وجسدياً .

وأما ماعدا ذلك من الوظائف فالشأن فيها مختلف بين الفقهاء فمنهم من يرى أن المرأة لاتكون وزيرة مشيرة ، لأن ذلك مدعاة للعجز والفساد ، ومنهم من يرى أن المرأة محظور عليها شرعاً أن تكون قاضية لأن ذلك يتطلب كمال الرأى وهى ناقصة العقل . »*

ويؤكد حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين على هذا المعنى بقوله :

« فمهمة المرأة زوجها وأولادها .. أما مايريد دعاة التفرنج وأصحاب الهوى من حقوق الانتخاب والاشتغال بالمحاماة فنرد عليهم بأن الرجال وهم أكمل عقلاً من النساء ، لم يحسنوا أداء هذا الحق ، فكيف بالنساء وهن ناقصات عقل ودين . »*

والأمر لا يقتصر لديهم على احتكار وظائف الإمامة والوزارة والقضاء وغيرها من الوظائف ذات الشأن الاجتماعى بل إنهم يريدون حرمان النساء من الحقوق السياسية ، وأن تظل المجالس النيابية مقصورة على الرجال فقط .

---

* محمد على قطب ـ بيعة النساء للنبى ﷺ ـ مكتبة القرآن ص ٩٥ . .

* حسن البنا ـ حديث الثلاثاء للإمام الشهيد حسن البنا ـ سجلها وأعدها أحمد عيسى عاشور ـ مكتبة القرآن ص ٣٧٠

فلا يحق لامرأة تبعاً لذلك ترشيح نفسها فى انتخابات مجلس الشعب أو انتخابات المحليات أو حتى فى الانتخابات النقابية .. وإذا كان « البنا » فى النص السابق يحرم على النساء الاشتغال بالمحاماة ويسمى أنصارها بأصحاب الهوى ... فما بالنا بموقفهم من وجود المرأة فى المجالس النيابية ومختلف روافد الحياة السياسية ؟

لقد خاض الإخوان المسلمون تجربة الانتخابات البرلمانية « مجلس الشعب » لدورتى ١٩٨٤ ، ١٩٨٧ . بالتحالف مع حزب الوفد فى المرة الأولى ، ومع حزبى العمل والأحرار فى المرة الثانية . وفى كلتا المرتين لم يقدم الإخوان وجهاً نسائياً واحداً .. حيث كان جميع مرشحيهم من الرجال .. وليس هذا صدفة أو دون قصد فموقف « حسن البنا » فى النص السابق واضح ، ومواقف جميع كُتّاب الجماعات الإسلامية تؤكد على أن مجلس الشورى والحكم هى للرجال فقط ...

وإذا كانت قائمة حزب الوفد قد ضمت وجوهاً نسائية فى دورة ١٩٨٤ ، فهى وجوه وفدية ... ، أما قائمة التحالف فى انتخابات عام ١٩٨٧ ، فلم تضم سوى سيدة واحدة هى :ـــ عزيزة محمد على سند « أمينة المرأة بحزب العمل لمحافظة الجيزة » ومن الملاحظ أنه برغم وضعها القيادى بالحزب ، وبرغم أنها المرأة الوحيدة فى القائمة إلا أن جريدة الشعب تجنبت إبراز أى نوع من الدعاية لها ، فلم تهتم بتقديمها لجمهور القراء وتعريفهم بنشاطها وأفكارها ـــ إذا كان لها نشاط ـــ حتى لا تغضب حلفاء الحزب من الإخوان المسلمين ، ولزمت هذه السيدة الصمت أو فرض عليها فى المؤتمرات الجماهيرية التى انعقدت بالدائرة ...

ويردد البعض أن المستشار مأمون الهضيبى رأس قائمة التحالف والعضو البارز بمكتب الإرشاد للإخوان المسلمين ، قد رفض جلوسها بجواره على المنصة فى أحد المؤتمرات ، وحاولت جريدة الشعب احتواء الموقف بنشرها تكذيب للخبر : « فى المؤتمر الذى عقده مرشحو الحزب فى أم المصريين فى الأسبوع الماضى حضرت عزيزة سند وجلست على المنصة التى كان يجلس إليها المستشار الهضيبى نفت هذا الادعاء وأعلنت أنه محض افتراء وكذب وقالت إنها لأول مرة تتقابل معه وهو مايدل على الفبركة غير المحبوكة لصحيفة « مايو » . »*

ولم تنشر الجريدة فى الرد صورة للمنصة أثناء المؤتمر ... بل نشرت صورة لمأمون

* جريدة الشعب ٨٧/٣/٣١ الصفحة التاسعة ـ فبركة مش محبوكة

الهضيبى وهو يسلم على السيدة ، ويتضح منها أنه قد تم تصويرها بعد المؤتمر فى محاولة لنفى ماتناقلته الصحف ودفع الحرج الذى يمكن أن يترتب على ذلك أثناء الحملة الانتخابية .

ذلك أن الهضيبى يعلم — كما يعلم إخوانه المسلمون — أنهم يدخلون مجلس الشعب بأصوات النساء والرجال معاً ..

وأنهم إذا كانوا يهاجمون منح المرأة حق الاقتراع ويشهرون بنضالها وتاريخها من أجل الحصول على هذا الحق وغيره ، فإنهم أول من يبادر إلى استغلاله الآن ، بل واستجدائه أيضاً بالتوجه إلى الأخت الناخبة ... صورة معقدة من النفاق والتعالى عليها والاستغلال لها فى وقت واحد ... !!!

وتكرر الأمر أثناء عدة انتخابات نقابية :—

نقابة المهندسين والأطباء والمحامين وغيرها من النقابات التى نزل فيها الإخوان المسلمون بقائمة يطلقون عليها القائمة الإسلامية وتحمل شعار « الإسلام هو الحل » وكانت جميعاً تخلو من أى وجه نسائى .

فى نفس الوقت الذى يناشدون عضوات هذه النقابات بانتخابهم ... !!!

وتمنح النساء الفرصة لمن يبغى القضاء عليهن ، وتحجيم وضعهن ودفعهن إلى الهوامش ، دون وعى منهن لحقيقة المصير الذى ينتظرهن على أيدى هؤلاء القادمين تحت شعار « الإسلام هو الحل » .

وبينما تغط الأحزاب والقوى السياسية الأخرى فى نوم عميق ، ولاتفطن إلى خطورة مايحدث فى تلك اللعبة الانتخابية المتكررة فى المواقع السياسية والنيابية المختلفة .. حيث تساهم تلك القوى فى صعود عدوها ... تقطف الجماعات الإسلامية ثمار هذه المعارك موقعا إثر آخر ... وبصوت المرأة الذى تختار به هذه الجماعات وتقول نعم لوجودهم ... فإنها فى الحقيقة تقول نعم لتهميش وضعها داخل هذا الموقع السياسى تمهيداً لطردها منه ... تقول نعم لإلغاء كل حقوقها السياسية والاجتماعية ... تقول نعم لاضطهادها ...

نعم لتحويلها إلى الأعمال الدنيا فى السلم الاجتماعى ... ذلك أن كل المعركة المفتعلة ضد القوانين الحديثة والضجيج المثار حول خروجها للعمل هو من أجل سحب حقوقها السياسية والاجتماعية وإلغاء كل المكاسب التى حصلت عليها بنضالها

السابق ، والتى أصبحت تشكل عبئاً على المجتمع فى أزمته الحالية ... .

ومن الطريف أن يسأل شخص إحدى الصحف الإسلامية عن حكم انتخاب المرأة ...

وأجاب عليه أحد الشيوخ بمقدمة إنشائية طويلة تعنى نتيجتها أن انتخاب المرأة لا يصح فى الإسلام :ـــ

« عنى الإسلام أتم عناية بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل فى بناء المجتمع على أساس من الدين والفضيلة والخلق القويم . وفى حدود الخصائص الطبيعية لكل من الجنسين ، فرفع شأنها وكون شخصيتها وقرر حريتها وفرض عليها كالرجل طلب العلم والمعرفة . ثم ناط بها من شئون الحياة ماتهيئه لها طبيعة الأنوثة وماتحسه ..

حتى إذا نهضت بأعبائها كانت زوجة صالحة وأماً مربية وربة منزل مدبرة ، وكانت دعامة قوية فى بناء الأسرة والمجتمع .

وكان من رعاية الإسلام لها حق الرعاية أن أحاط عزتها وكرامتها بسياج منيع من تعاليمه الحكيمة . وحمى أنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان . وباعد بينها وبين مظان الريب وبواعث الافتتان ، فحرم على الرجل الأجنبى الخلوة بها والنظرة العارمة إليها . وحرم عليها أن تبدى زينتها إلا ماظهر منها وأن تخالط الرجال فى مجامعهم وأن تتشبه بهم فيما هو من خواص شئونهم وأعفاها من وجوب صلاة الجمعة والعيدين مع ماعرف عن الشارع من شديد الحرص على اجتماع المسلمين وتواصلهم وأعفاها فى الحج من التجرد للإحرام ، ومنعها الإسلام من الأذان العام وإمامة الرجال للصلاة والإمامة العامة للمسلمين وولاية القضاء بين الناس ، وأثم من يوليها ، بل حكم ببطلان قضائها على ماذهب إليه جمهور الأئمة ، ومنع المرأة من ولاية الحروب وقيادة الجيوش ، ولم يبح لها من معونة الجيش إلا مايتفق وحرمة أنوثتها .

وأن المرأة لم تول ولاية من الولايات الإسلامية فى عهده ـــ يقصد النبى ـــ ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولا فى عهود من بعدهم من الملوك والأمراء ، ولاحضرت مجالس تشاوره مع أصحابه المهاجرين والأنصار . ذلك شأن المرأة فى الإسلام ومبلغ تحصينها بالوسائل الواقية . »*

---

* اللواء الإسلامى العدد ٢٩٥ الخميس ٨٧/٩/١٧ السنة السادسة ص ٩

ومعنى كلام الشيخ بوضوح شديد أن لا يحق للمرأة أن ترشح نفسها فى انتخابات عامة ، ولا يحق لها أن تمثل فى أى من المجالس النيابية ...

ويذكرنا هذا الحديث بما أصاب المرأة الإيرانية بعد الثورة الخومينية عام ١٩٧٨ م ، حيث تذكر الكاتبة فرح إزارى أنه فى بداية الأحداث « دخلت المرأة مجال الكفاح المسلح فشاركت بأعداد كبيرة فى الانتفاضة ، سواء كقوات مساندة ، أو فى توفير الطعام والدواء أو كمحاربة وراء المتاريس من خلال منظمتى فدائيى ومجاهدى الشعب . »

لكن بعد ذلك بدأت مواجهات الخومينيين مع النساء سافرة :ـــ « فى مجال المهن القانونية بدأ رجال الدين ، الذين تم تعيينهم فى مناصب بارزة فى وزارة العدل فى شن حملة ضد ممارسة النساء لأعمال القضاء ، وفرضوا إلغاء برامج التدريب لخريجات كليات الحقوق ، ورداً على ذلك تشكلت جمعية النساء المحاميات لتقوم بحملة احتجاجية ضد تلك الضغوط ، وقد تبين نوايا السلفيين فى العمل على تصفية وجود المرأة فى كل نواحى العمل القانونى .

وكان اتحاد المحاميات من أبرز المنظمات النسائية المهنية ، وقام بتنظيم العديد من الاعتصامات والأعمال الإحتجاجية الجماهيرية كما كان يتمتع بتأييد القوى الديمقراطية واليسارية . ولكن مالبثت أن تحولت قضية المرأة المحامية إلى مجرد قضية جزئية صغيرة وذلك فى ظل الحملة اللاحقة التى استهدفت تصفية المؤسسة القضائية المدنية برمتها . وبالتالى ضاع كفاح المحاميات فى وسط دمار مهنة المحاماة ذاتها . »

وحجة الإسلاميين التى يحاولون إقناعنا بها أن المرأة لا تعمل بالمحاماة والعمل السياسى بسبب ضعفها العقلى والنفسى ، هى حجة مردودة بنتائج العلم الحديث التى تثبت أنه لا خصائص طبيعية لعقل الرجل أو عقل المرأة يمكن أن يولد بها الإنسان ، ولكن نسق القيم السائد فى المجتمع هو الذى يشكل الخصائص المميزة لكلا الجنسين .

وكم من نساء تولين أمر القيادة ، وأثبتن صلاحيتهن ليس فى التاريخ الحديث فقط ، بل وفى تاريخهم أيضاً سنجد نموذج زينب الغزالى التى تلقت « أول رسالة من الإمام الشهيد تكليفاً بالوساطة بين النحاس والإخوان ، وكان رفعة مصطفى باشا النحاس خارج الحكم حينذاك وحدد النحاس المرحوم أمين خليل للقيام بإزالة سوء التفاهم ورضى به الإمام الشهيد وكنت أنا حلقة الاتصال ... »*

---

* زينب الغزالى ـــ أيام من حياتى ـــ دار الشروق ـــ المصدر السابق

ثم تعلق على ذلك قائلة :ـــ « ما يربطنى بمصطفى النحاس هو الصداقة الشخصية »*

فكيف يكلفها البنا بلقاء صديقها النحاس لتصفية خلاف سياسى وهو الذى يحرم الاختلاط بالرجال والخلوة معهم ومفاوضتهم حتى أن أحد اتباعه يؤكد أن هذا محرم شرعاً ولأسباب تتعلق بتكوين المرأة نفسياً وجسديا .

فهل كانت زينب الغزالى التى تزور اللواء محمد نجيب بصحبة الأمير عبد الله الفيصل قبل الانقلاب بأيام ، والتى تزور الشيخ محمد الأودن أحد شيوخ الأزهر وتسمح له بأن يُقبِّل رأسها وتلتقى منفردة مع عبد الفتاح إسماعيل ـــ أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين ـــ فى غرفتها بالباخرة ، ثم تلتقى به خلف مبنى زمزم بمكة ، وكان كثير التردد على منزلها ...

فهل كانت زينب الغزالى فى كل ذلك خارجة على تعاليم الإسلام ؟ أم أنها من جنس غير جنس النساء الذى يصفونه بنقص العقل ... ؟

إننى لا أذكر ذلك تعريضاً بزينب الغزالى وسلوكها الشخصى لأنى أفهم أن المرأة كاملة الأهلية وقادرة على أن تكون مفاوضة سياسية ناجحة ومناضلة وقائدة قوية ، بحكم ما تملك من قدرات إنسانية مساوية للرجل ...

ولكنى أذكر ذلك فقط فى مقابل تحريم الجماعات الإسلامية والإخوان المسلمين خصوصاً ، لاختلاط النساء بالرجال ... وإشراكهن فى الحياة العامة .

فإما أن تكون دعايتهم المعلنة تختلف عن السلوك فيقولون مالا يفعلون ، وإما أن تكون أفعال زينب الغزالى مجرمة لديهم ، وهو مالم نسمع عنه ... فهم يقدمونها دائماً على أنها نموذج الأخت المسلمة .

ونعود إلى النصوص السابقة التى تتحدث عن اشتغال المرأة بالعمل خارج البيت ، فنلاحظ أن القاعدة الصلبة التى يحاول الدعاة الإسلاميون التأكيد عليها هى تحريم عمل النساء وأن « البيت هو مثابة المرأة التى تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى ـــ غير مشوهة ولا منحرفة ... »

تلك القاعدة الصلبة ليست هى النهاية ، ذلك أن كل النصوص بعد تحريمها لعمل

---

* زينب الغزالى ـ المصدر السابق

المرأة تفتح ثغرة واضحة تشير إلى إمكانية عمل النساء مع إحاطة تلك الثغرة بشروط ، فسيد قطب يقول : « إن خروج المرأة لتعمل كارثة قد تتيحها الضرورة » *.

والدكتور محمد البوطى يقول :

« لا تنزل المرأة إلى ميدان العمل من أجل الرزق إلا فى أضيق الظروف والحالات الضرورية . » *

وحسن البنا يحرم عليها « حقوق الانتخاب والاشتغال بالمحاماة » والفقهاء يجمعون على عدم توليها المناصب الهامة .

وقد يهلل بعض الإصلاحيين ويتخذ من تلك النصوص دليلاً على تسامح أيديولوجيا الجماعات الإسلامية وأنها لم تسد الطريق تماماً أمام عمل النساء ، ونحن نقول لهم :ـــ

نعم إنهم يسمحون بعمل المرأة ، حتى هؤلاء المتشددين من أمثال أبو الأعلى المودودى وابن تيمية ، وحتى لدى أكثر الجماعات تشدداً من فريق الجهاد وغيره ...

نعم يسمحون بعمل المرأة ولكن بعد ماذا ... ؟

ـــ بعد تجريدها من الحقوق السياسية كحق الانتخاب والترشيح وحقوق الترقى حتى المناصب القيادية .

ـــ وبعد تجريدها من الأسلحة التى يمكن أن تدافع بها عن شروط أفضل للعمل كحق الإضراب والتظاهر ، فإذا كانوا يحظرون تلك الحقوق على الرجال ، فما بال موقف النساء إذن ... ؟

إنهم يصفون النساء المشتركات فى أى تظاهر أو إضراب بالسافرات الفاجرات كما رأينا من قبل .

ـــ ثم يسمحون بعمل المرأة بعد تحديد وظائف بعينها للنساء ، كطب النساء والتمريض والتدريس والحياكة والتطريز ، ولا يخفى على أحد أن تلك الأعمال ذات طابع خدمى ، وهى تصنف فى أدنى السلم الاجتماعى للبرجوازية ، فإذا كانت تتطلب قدراً من التعليم فهو تعليم نوعى يختلف تماماً عن نوع التعليم الذى يتلقاه السادة الرجال ...

---

* سيد قطب ـ السلام العالمى والإسلام ص ٥٤

* د . محمد البوطى ـ إلى كل فتاة تؤمن بالله

ولذلك نجد أن حسن البنا يطالب بـ « إعادة النظر فى مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيان فى كثير من مراحل التعليم . »*

ونوع هذا التعليم المنفصل هو الذى يؤهل بعض النساء لأن يكن خياطات زوجات الزعماء وهوانم الإسلاميين . ولأن يكن طبيبات وممرضات هؤلاء النسوة .

وكان من آخر تقاليع الجماعات الإسلامية إنشاء مستشفى لعلاج المسلمات فقط « محظور دخولها على الرجل الطبيب أو الممرض الرجل ، أو حتى الطبيبة إذا كانت بغير نقاب أو حجاب ... »

ويعلن صاحب المستشفى بلا أى خجل أنه إذا كان « بعض الأطباء يعتقدون أن الهدف من الفكرة هو الربح ، أقول لهم إن كان الربح هو الهدف ، فهذا لا يتعارض مع الإسلام . »*

وقد ثارت ثائرة الأطباء لما يعنى ذلك من التشكيك فى مهمتهم كأطباء وفى سلوكهم كبشر ، ولما فى ذلك أيضاً من تهديد لسوق الأطباء ومدى ما يحققونه من ربح فى جانب طب النساء ...

لكن نقابة الأطباء لم تتحرك ، فى ظل مجلس نقابة تسيطر عليه الجماعات الإسلامية ، ويحمى مصالح الجماعات الإسلامية .

وفى المهن الأخرى نلاحظ انتشار ظاهرة تحديد جنس الذكور فى إعلانات شغل الوظائف الفنية والمهنية المتخصصة ، ففى السنوات الأخيرة تتصدر معظم إعلانات طلب المحاسبين والمهندسين وغيرها لافتة للذكور فقط ، كما تقتصر البنوك والشركات الإسلامية على تشغيل الذكور فى تلك المهن ، وحصر عمل النساء فى مهن أخرى كالتدريس والتمريض وغيرها من المهن الخدمية ذات الشأن الاجتماعى الأقل .

وخصوصاً بعد افتتاح مدارس خاصة بالبنات لا يشغل وظيفة التدريس فيها سوى المدرسات ... والجماعات الإسلامية تطالب بأن يكون التعليم فيها نوعيا ، فلا حاجة لتعليم البنات الهندسة أو الكيمياء مثلاً .

---

* حسن البنا ـ أصول دعوة الإخوان المسلمين ـ الرسائل الثلاث ـ دار الشهاب ص ١٢٠

* مجلة المصور العدد ٣٢٣٠ ـ ٨٦/٩/٥

ومن الطريف أن إيران قد طبقت بعد الثورة الخومينية هذا النظام فكانت نتيجته .. « منع المدرسين من التدريس بمدارس البنات ، تركت مواد كثيرة فى تلك المدارس — كالرياضة والعلوم — وفى مجال التعليم العالى ، وبعد أن منعت المرأة من دراسة الحقوق وانتشر الحديث أيضاً عن منعها من دراسة الرياضة والعلوم الهندسية . كما سعى النظام إلى تعديل الكتب الدراسية ليتم تخصيص كتب دراسية مختلفة للفتيات عن تلك التى للصبية ، فيصرح وزير التعليم أن احتياجات التعليم للفتيات تختلف عن الصبية فينبغى زيادة تعليم الحياكة للبنات والإقلال من الرياضة والعلوم والكيمياء ..

وفى المجال القانونى كان لإلغاء قانون حماية الأسرة تأثيره على وضع المرأة تأثيراً بالغاً . كما فرضت على المرأة قوانين أخرى وحشية تسمح للسلطات بتوجيه الاتهامات الجزافية للنساء وتوقيع عقوبات الجلد والرجم والإعدام لأقل الشبهات وكثيراً ماألصقت المحاكم تهماً تتعلق بالجنس بالنساء المناضلات لتبرير الحكم عليهن بالإعدام . *

وهذا مايريده لنا حسن البنا وباقى الدعاة الإسلاميين ، يريدون حرمان النساء من الحقوق السياسية ، يريدون تعليماً نوعياً يخدم حاجات زوجاتهم وأبنائهم وليس هذا فقط ، بل — وهذا هو الأهم — يفصح شرط الحاجة الذى يضعونه لعمل المرأة عن هدف استغلال المرأة الفقيرة — وهى القاعدة العريضة والمتعاظمة العدد فى ظل نظامهم الطبقى — وتحويلها إلى أيد عاملة رخيصة تحت أقسى وأسوأ ظروف للعمل .

يقول إبراهيم النعمة فى كتابه العمل والعمال فى الفكر الإسلامى :— « ومع ذلك فإن من حق المرأة إذا أرادت العمل أن تعمل ، ولكن فى عمل يتناسب مع ظروفها وطبيعتها ، مثل الصناعات ولها أيضاً أن تعمل ، خارج بيتها وإن كانت حاجتها للعمل ماسة خاصة إذا كانت تعين صبية صغارا ليس لهم من ينفق عليهم . »*

فشرط عمل المرأة فى الفكر الإسلامى أن تكون امرأة تحت خط الفقر ، لاتملك ماتأكله هى ومن تعولهم .. لاتملك ماتغطى به جسدها ، لاتملك أن تفكر فى شيء

* الحركة النسائية فى إيران فى أعقاب الثورة — فرح إزارى — ترجمة وعرض هالة شكر الله مجلة المرأة الجديدة يوليو ٨٦ ص ٣٢

* إبراهيم النعمة — العمل والعمال فى الفكر الإسلامى — الدار السعودية للنشر والتوزيع ص ٩٤

سوى الحصول على لقمة العيش ، أو الحد الأدنى من لقمة العيش ... عند هذه الدرجة من الحاجة الماسة التى لاتسمح لها بأن تفكر أو أن تختار شروطاً أفضل للعمل والحياة ... عند هذه الدرجة التى لاتجعلها تشعر حتى بآدميتها ، يمكن فقط أن يسمح الفكر الإسلامى للمرأة أن تنزل ميدان العمل : ذليلة ... ضعيفة ... مذعورة ... تتلفت حول نفسها ... تنظر إلى ثيابها الرثة فتشدها حتى يمكن أن تغطى أعضاءها الموصومة بالحرمة فى نظر السادة الإسلاميين .

« فإن من واجبها حينئذ أن تراعى هذه الشرائط التى وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها ، لا أن يكون هذا نظاماً عاماً ، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه .

والكلام من هذه الناحية أكثر من أن يحاط به ولا سيما فى هذا العصر الميكانيكى الذى أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية فى كل شعب ، وفى كل دولة »* .

وهكذا تنزل المرأة ميدان العمل نعم ...

ولكن ليس فى كل الميادين ، فليس مسموحاً لها أن تخترق الميادين ذات الشأن الاجتماعى ، ولكن أن تعمل فى المجالات التى تمكن هذا المجتمع الإسلامى الفاضل من تكثيف درجة استغلالها كيد عاملة تقبل سعراً أقل وساعات عمل أكبر وظروفاً أسوأ ...

وسواء كانت الصناعات منزلية كأنواع الحرف فى التطريز والحياكة التى تخدم حاجات السيدات المسلمات من الطبقات الأعلى ... واللاتى يخدمن بدورهن قيما استهلاكية وجنسية ويرضين حاجة السيد الرأسمالى المسلم صاحب الزوجات الأربع ، وربما المئات من الجوارى .

كما حدث حينما طالبت « لبيبة أحمد » بتطبيق أفكار الإخوان المسلمين فى تشغيل النساء الفقيرات (بتعليمهن حرفة يكتسبن منها ، على أن تباع منتجاتهم فى داخل النادى نفسه ــ نادى السيدات ــ للعضوات كالملابس المحاكة أو المطرزة والمربى والمخللات ...)*

---

* خيال الجوهرى ـ المصدر السابق ص ٢١٣ .

* د. آمال السبكى ـ الحركة النسائية فى مصر ـ مابين الثورتين ١٩١٩ م ـ ١٩٥٢ م ص ١١٩ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .

فكل ماتفتق عنه ذهن هؤلاء السادة والسيدات الخيرين جداً هو استغلال فقر النساء الفقيرات ... بتشغيلهن فى أعمال خدمية ، تدعى صونهن والمحافظة على أجسادهن ، بينما هى فى الحقيقة تكرس لطحن هذه الأجساد بمزيد من العمل ...

وإذا كانت الحاجة لبيبة قد طالبت فى مجلتها بأن (تؤلف النساء فى كل مديرية جمعية نسائية تحصر عدد الأسر الفقيرة فى المديرية :ـــ

ومحاولة إرشادهن إلى وسيلة لرفع مستواهم الاقتصادى بتدريب إناثها على حرفة كالحياكة أو التطريز آو صنع بعض المأكولات وتسويقها)* فإن الرأسمالى الإسلامى سيفتح مصانع خاصة للنساء يحافظ فيها على أجسامهن بطحنها فى العمل وتحقيق فائض القيمة وإحداث تراكم رأسمالى سريع ومكثف لصالحه ، هذا فى أحسن الظروف ، فترى من يراقب هذا السيد الرأسمالى داخل مصانعه ، ومن يدرى إذا ماكان استنزاف قوة العمل هو الاستنزاف الوحيد أم أنه يتم أيضاً داخل مصنعه الإسلامى استغلال من نوع آخر .

ففضيلته التى تتركز حول مبدأ الفصل بين الرجال والنساء باعتبار أن الاختلاط مبعث المفاسد والمباذل الاجتماعية « يرى الإسلام فى الاختلاط بين الرجل والمرأة خطراً محققاً » لاتتناقض بداخله مع مبدأ امتلاكه لرأس المال .. وتكوين المصانع وشراء القوى العاملة الرخيصة وتشغيلها أكبر عدد ممكن من الساعات وإعطائها أقل أجر ممكن .

ثم وفى نفس الوقت الضرب بيد من حديد على أية محاولة للمطالبة بالحقوق ... لأن السيد الإسلامى يحرم حق الإضراب وحق التظاهر وحق دخول النقابات والاشتراك فى الانتخابات وانتزاع الحقوق السياسية من النساء .

إن من بين مئات الكتب التى طبعتها الجماعات الإسلامية لتدين المرأة المعاصرة وتنادى بعدم اختلاطها بالرجال ، من بين آلاف الخطب التى يلقيها دعاتهم لتؤكد على حق الرجل كسيد قوَّام ـــ ومن باب أولى الرجل الغنى فى المجتمع الإسلامى ـــ لاحديث عن وسيلة واحدة تدافع بها المرأة الفقيرة التى سمحوا لها بالنزول إلى سوق العمل وإلى بيع قوة عملها ـــ مصورين لها ذلك على أنه مطلق السماحة والعدل ـــ ... لاحديث عن وسيلة واحدة تدافع بها عن حقوقها ضد الاستغلال المكثف . ذلك لأنها وبمقتضى تلك القوانين الإسلامية يجب أن توضع بين فكى الرحى لتعتصر مرة لأنها امرأة ، وأخرى لكونها امرأة عاملة .

---

* د. آمال السبكى ـ الحركة النسائية فى مصر ـ المصدر السابق .

إنهم لا يعيبون الاستغلال الرأسمالى للإنسان ، ولكن كل مايلاحظونه هو ضرورة حصول الرجل فى هذا المجتمع الرأسمالى على المزيد من المكاسب فهذا محمد على قطب يقول فى كتابه بيعة النساء للنبى :

« ومع ظهور الآلة فى عصر الصناعة والبخار ونشوء المراكز الصناعية (فى أوروبا حيث ظهرت) وجد العديد من العاملين والعاملات الذين نزحوا من الريف أو المدن الصغيرة طلباً للكسب الكثير وخلفوا وراءهم عائلاتهم وأسرهم . وتم الاختلاط (المنظم) وشب فى الأعماق الجنسين مارد الغريزة والاتصال المحرم ، وتم فى غفلة من وعى الجبروت الكنسى كسر القيود وتحطيم السدود والانجراف فى إعصار الرذيلة . فلو أن التعدد كان ميسوراً والطلاق لم يكن علاجاً محظوراً ماحدث ذلك . »*

فالكاتب الإسلامى الشهير يغض الطرف عن عيوب النظام الرأسمالى نفسه ... فهو لا يرى شبح الجوع والموت الذى يهدد هؤلاء الناس ويدفعهم إلى بيع قوة عملهم ليشتروا بثمنها خبزاً أسود يقيم حياتهم بالكاد ، ويؤجل الموت لبعض الوقت ...

ويغض الطرف عمن يستفيد من هذا الوضع من الرأسماليين الذين حققوا تراكمهم الثروى عبر بؤس وشقاء هؤلاء العاملين والعاملات الذين يصورهم كاتبنا الإسلامى على أنهم بشرٌ طامعون فى الكسب والجنس ، فيقدم الصورة وكأن جيوش العاملين والعاملات كانوا فى بحبوحة من العيش والتحقق الاجتماعى قبل نزوحهم من الريف والمدن الصغيرة إلى المدن الصناعية ، وأن السيد الرأسمالى الطيب القلب قد هيأ لهم داخل مصانعه وسائل الاتصال الجنسى (لاحظ استخدامه لكلمة المنظم) وكأن العمال لم يكونوا يذهبون للعمل طوال الاثنتى عشرة ساعة من أجل الحصول على قروش قليلة تشترى الخبز الأسود ، ولكن يذهبون للنزهة وممارسة الجنس . إنه لايرى إلا مارد الغريزة وغفلة الكنيسة ، وهو حزين لأن الجبروت الكنسى كان غائباً ، أو غير كافٍ لسحق عظام هؤلاء العمال والعاملات المختلطين ... !!

وينسى أن الكنيسة لعبت دورها فى قمع حركات التنوير والتطور ، وينسى تاريخها كمعقل من معاقل الدفاع عن النظام الإقطاعى وعبودية الفلاحين وأقنان الأرض ، ثم دورها كحليف قوى للنظام الرأسمالى الذى كانت تحاربه فى البداية ولكنها الآن تؤيده بكل ماتملك من قوة ضد محاولات العمال انتزاع حقوقهم .

---

* محمد على قطب ـ بيعة النساء للنبى ـ المصدر السابق ص ٨٠

وهذا الكاتب الإسلامي لايرى أن رجال ونساء بلاده أصبحوا أيضاً أيدى عاملة فى السوق الرأسمالية الكبيرة ، ولكنه يرى فقط أن المجتمع الغربى تتركز فيه الغرائز ، أما المجتمع الإسلامى فقد حل تلك المشكلة بتعدد الزوجات وإباحة الطلاق ، فياله من حل عبقرى ينصح الكاتب الغرب باللجوء إليه ليحل جميع مشاكله ... ولكن هذا الحل سيكون فى صالح من :ـ

ــ الرأسمالى صاحب المصنع ، وصاحب الإمكانيات التى تتيح له ، تعدد الزواج واستخدام شتى أنواع المتع وسبلها .

ــ أم العامل النازح من قريته أو من شقوق قاع المدينة بحثاً عن عمل مأجور يغطى به أدنى حاجاته .

ــ أم سيكون لصالح العاملة المضطرة تحت إلحاح الفقر إلى بيع قوة عملها .

صحيح أن مؤسسات الرأسمالى الدينية ستزين للطبقة العاملة مفاهيم مجردة عن الخير والشر ، وتحدثهم باسم الدين عن الفضائل الأخلاقية فى الطاعة والرضا بالقليل وتبشرهم بأن خلف عالمهم الدنيوى بكل مايحمل من استغلال لهم ، سوف يجدون عالماً آخر ينالون فيه مايشتهون إذا ماصبروا حتى الموت .

وتحت ضغط الفقر والقهر ربما يصدق العمال ويتحملون أقصى درجات المهانة الجسدية والمعنوية ، وربما تستشرى بعض الأمراض الاجتماعية ، فنجد داخل صفوف الطبقة العاملة من الرجال من يرتد على زوجته بالقمع والاستغلال الجسدى ، وسوف نجد بين صفوف العاملات من ترتد على زوجها بالتحايل لاسترداد الحقوق ودفع الاستغلال بأساليب ضعيفة وملتوية ... وسوف نجد حالات لتعدد الزواج وحالات كثيرة للطلاق ... ولكن تبقى فى النهاية مشاكل تلك الطبقة المستنزفة لا يحلها منع الاختلاط أو تعدد الزوجات وإباحة الطلاق ... وتبقى فى النهاية فروق جوهرية بين أخلاق الرأسمالى فى ثوبه الإسلامى الجديد ، وأخلاق الطبقة العاملة برجالها ونسائها . فالرأسمالى ينظر لكل شىء بمعايير السوق ، ولايفكر إلا فى حسابات الربح والخسارة لإشباع نهمه إلى التملك والصعود على أجساد هؤلاء العمال بتشغيلهم أكبر عدد ممكن من الساعات بأجر أقل ، وحرمانهم من أسلحة التضامن والتظاهر ..

إنه يعلم أن شروط وجوده كرأسمالى وشروط تراكم الثروة فى خزائنه لا يتحقق إلا على حساب استنزاف الطبقة العاملة برجالها ونسائها ، ولا تفريق هنا بين الرجال

والنساء إلا بمقدار ماتسمح به الظروف من استغلال أكبر وهو غالباً مايكون فى حالات النساء .

ومن هنا يكون تغاضى الكتاب الإسلاميين عن الأمراض الهيكلية الموجودة فى المجتمع الرأسمالى ، واقتراح حل سطحى ، أو تحميل أحد الأطراف الضعيفة ـــ وهو طرف النساء ـــ أسباب الأزمة ، هو دفاع عن النظام الرأسمالى فى حد ذاته ، ورغبة فى إزالة معوقات تسييره ونجد هذا المنطق التبريرى النفعى واضحاً لالبس فيه ، فى تعقيب حسن البنا على نص الحديث :ـــ

« جاء رجل إلى النبى ﷺ يشكو الفقر ، فقال عليه الصلاة والسلام تزوج ، فتزوج .

ثم جاء إليه ثانية يشكو الفقر فقال له تزوج ، فتزوج .

ثم جاء إليه ثالثة يشكو الفقر فقال له تزوج ، فتزوج .

ثم جاء إليه رابعة يشكو الفقر فقال له تزوج ، فتزوج الرابعة وكانت تحسن الغزل فعلمت ثلاث النسوة صنع الغزل والنسيج فانفرجت ضائقة الرجل وصار من الأغنياء ؛ لأنه أصبح مدير مصنع تعمل فيه زوجاته . »*

والنص الإسلامى لا يرى فى زوجات هذا الرجل إلا عاملات يمكن أن يستغلهن الزوج فى جمع الثروة والانتقال إلى صفوف ميسورى الحال .

وحسن البنا يقدم هذا النموذج بفخر شديد داعياً جماهير الجماعات الإسلامية من الرجال إلى الإقتداء به ، ومالهم لايقتضون بنموذج يداعب بداخلهم حلم الثراء ، ويداعب حلم الراحة على حساب من سيتزوجون من النساء .

وقد يرى البعض فى نموذج الحديث السابق أن فكر الجماعات الإسلامية لايمكن أن يستوعب مابعد هذا الطابع الحرفى فيما يخص العمالة النسائية ـــ حيث يصير الزوج مديراً لعمل زوجاته الأربع فى عملية الإنتاج المنزلى ، حتى يمكن للرجل هنا أن يختلط بهؤلاء النسوة وتشغيلهن طبقاً للقاعدة الإسلامية التى تحرم الاختلاط بين الأغراب من الجنسين تحريماً قاطعاً .

ولكنى أعتقد أن الهيكل العام لأيديولوجيا الجماعات الإسلامية التى تشجع الثراء ولا تضع حدوداً للتراكم الثروى يؤكد العكس .

---

* حسن البنا ـ حديث الثلاثاء سجلها وأعدها أحمد عيسى عاشور ـ مكتبة القرآن ص ٣٧٥

لأن التراكم الذى سينشأ فى ظل مجتمعهم الإسلامى ، ليس بتراكم اكتنازى يغلق عليه صاحبه صندوقاً عتيقاً ، ولكنه تراكم توظيفى يدفع فيه صاحبه بأمواله إلى السوق دائماً من أجل المزيد من الأرباح ، طالما أن كل أنواع النشاط تغلف بالغلاف الدينى المسمى بالرزق الحلال ، وطالما أنها جميعاً تنشد الربح الذى يحتل مكانة عالية فى أيديولوجيا الجماعات الإسلامية .

وأفق الرأسمالى الذى يتحرك الآن بمقتضى قوانين دستور إسلامى يشرع له إحداث تراكم أولى على حساب عمل الزوجات من النساء ، فإنه أيضاً يستوعب تكوين تراكم أعلى للثروة على حساب عمل النساء وإن لم يكن زوجات الرأسمالى لأن النساء فى النهاية احتياطى اليد العاملة الرخيصة الذى لا يمكنه الاستغناء عنه .

وأيديولوجيا الجماعات الإسلامية التى قننت قاعدة الاستغلال الأساسية فى خروج المرأة للعمل عند الحاجة أو الضرورة الماسة ، هى نفسها الأيديولوجيا التى تقدم فكرة تخصيص مصانع للعمالة النسائية ، أو ورديات خاصة بهن « ستكون فى الغالب هى الورديات النهارية » أو تخصيص عنابر — داخل نفس المصنع — للنساء فقط .

وقد يعتقد البعض أن الحديث السابق هو محض تكهنات أو تحامل على النوايا الإسلامية الحسنة .. ولكن حقائق الأمور هى التى تكشف نفسها ، ففى حديث « للسعد » صاحب إحدى أكبر شركات توظيف الأموال الإسلامية يعدد فيه مشروعاته التى تجاوزت تجارة السيارات بأرباح تزيد على ٦٠ بالمائة ، وتجارة اللحوم والألبان ونباتات الزينة وسلسلة مطاعم هذا بخلاف تجارة الذهب والفضة والمجوهرات وجميع أنواع التجارة العلنية والسرية ، مما ضاعف ثروته خلال ستة أشهر من لاشىء إلى ٦٠ مليون جنيه كما يعترف هو — فى حديثه — المدفوع الثمن بالأهرام — عن طريق تجميع مدخرات البرجوازية الصغيرة والتجارة فيها .

وبفرض تصديقنا لحقيقة نشاطه وحقيقة أرقامه المعلنة ، وهو مابات محل شك الجميع .

فإن ماأعلنه يدعو للدهشة .... فهذا « السعد » الرأسمالى بعد أن تاجر فى السيارات والأثاث والطعام والحلى وكل شىء وبعد أن استغل الرجال والنساء كصغار مدخرين وكمشترين يبيع لهم السلع بأضعاف سعرها خلف ستار التقسيط المريح ... حتى صارت جنيهات هؤلاء الرجال والنساء تلهث خلف سلعه الاستهلاكية ولا تكاد تطولها ...

فإنه يضيف إلى مشروعاته « الخيرية » السابقة مشروعاً « أكثر خيرية » حينما يعلن :ـــ

« هناك مشروع آخر مازال فى دور الدراسة وهو إقامة مشروع إنتاجى ضخم لا يضم إلا النساء فقط لرفع مستوى المرأة المصرية العاملة مع المحافظة على كرامتها وعقيدتها والالتزام بالسلوك الإسلامى السوى ... »*

فالحاج « السعد » الملتزم بالسلوك الإسلامى السوى ، والملتزم بقوانين السوق أيضاً والذى لا يتورع عن المضاربة بالذهب والفضة وعن التجارة بكل شيء ، هو نفسه الذى يشترى قوة عمل النساء باسم الحفاظ على كرامتهن ...

وهذا ليس جديداً على طبيعة السوق الرأسمالية .. فمنذ دخول الصناعة إلى مصر والعمالة النسائية تستخدم ... ولكن الفارق الخطير الذى يضيفه « السعد » باسم الإسلام هو فى تحقيق مبدأ العزل بين النساء والرجال ...

وباسم الإسلام أيضاً لن يكون من حق هؤلاء العاملات بمصنع « السعد » الرأسمالى الإسلامى أو بمصنع الشريف وغيره المطالبة بأى حقوق نقابية وسياسية كما اتضح من الأحاديث السابقة لزعماء الجماعات الإسلامية التى تهاجم حق المرأة فى الاشتراك فى الإضراب والاعتصام والتظاهر وكافة أشكال العمل العام .

وإذا كانت العاملات قد شاركن زملاءهم العمال فى إضرابات مصانع كفر الدوار والمحلة وشبرا الخيمة فإن الرأسمالى الإسلامى سوف يشغلهن فى نفس الصناعات : (الغزل والنسج ـــ مصانع التريكو ـــ مصانع التفصيل الآلى ـــ الصناعات البلاستيكية ـــ صناعات الأغذية وغيرها من الصناعات) مع محاولة سحب أو طمس أو إلغاء هذا التاريخ النضالى مما يسهل عملية تكثيف الاستغلال الرأسمالى ، وبينما تتصاعد الشكوى من فوضى السوق ومن دور تلك الشركات الإسلامية فى تجارة العملة وزيادة حدة التضخم والركود ...

لم يجد هذا الرأسمالى الإسلامى نفسه سبيلاً للدفاع عن المرأة سوى فى قطف ثمار كل الأزمات التى شارك فى صناعتها والتى أدت إلى إفقارها الشديد وزحفها إلى أبواب مصانعه ، ليتحول جسدها الذى طالما هاجمته الجماعات الإسلامية ، وقيدته بشتى أنواع التحريمات إلى ترس فى آلته ... وثروة تملأ خزائنه .

---

* الأهرام ـــ مواجهة ساخنة مع رئيس شركة توظيف أموال إسلامية ص ١٤ ١٩٨٧/٢/١١ حديث تسجيلى

الفصل الرابع

ملكة على عرشٍ من الأشواك

البيت مملكة المرأة وهى ملكته المتوجة .. تعيش فيه مكرمة مصونة ودرة مكنونة ...

« والبيت هو مثابة المرأة التى تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى — غير مشوهة ولا منحرفة ولا ملوثة ولا مكدودة فى غير وظيفتها التى هيأها الله لها بالفطرة »* هكذا تروج الجماعات الإسلامية وسط النساء ، وتعدهن بأنهن سيجدن أنفسهن على حقيقتها ....

وربما يداعب هذا الوعد خيال الكثير من النساء المرهقات بالأعباء والتعب والعمل فيذهبن مع الحلم بعيداً ويصدقن أن البيت هو الفردوس المفقود وأن الزواج على طريقة « الجماعات الإسلامية » هو حل لجميع المشاكل المتراكمة فى الخارج والداخل ...

ولكن ماهى حقيقة المعاملات داخل تلك المملكة التى تعدهن بها الجماعات الإسلامية ... ؟

كيف ستجد المرأة نفسها فيه — على حقيقتها — كما يقولون ؟

كيف ستعامل الزوجة الزوج ... وكيف سيعاملها هو ؟

هل يمكن أن تفصح الدعاية عما هو أكثر من الوعد بالفردوس الحسن ... ؟

إن كتابات الجماعات الإسلامية تتناول العلاقة الزوجية على أنها شركة لكل طرف فيها وظيفة ، ولكنها شركة لاتبنى على رغبة الطرفين وإرادتهما بل رغبة الرجل وإرادته .

(الرجل له أن يزوج نفسه ، أما المرأة فليست حرة تمام الحرية فى هذا ، وتزويجها فى يد أوليائها ، والذى لا شك فيه من وجهة نظر الحديث الشريف — الأيم أحق بنفسها من وليها — و — لا تنكح البكر حتى تستأذن — إن رضا المرأة ضرورى لإتمام

* لجنة النشاط الثقافى والسياسى بكلية الطب البشرى — جامعة الأسكندرية — المصدر السابق ص ١٩

الزواج ولا حق لأحد فى تزويجها خلاف ماترغب . إلا أنه لما كان زواج المرأة يتصل اتصالاً وثيقاً بمصلحة العائلة ، فإن القرآن يريد ألا تكون رغبة المرأة وحدها كافية فى هذا الأمر ، بل أن يكون لرأى رجال عائلتها ـــ إلى جانب رضاها ـــ نصيب منه .)*

هكذا يؤكد « المودودى » فى صراحة أن الرجل هو الذى يزوج نفسه ، وأن الرجل الأب هو الذى يقرر حسب مصلحة عائلته ، أما المرأة فليست حرة فى تقرير شأن مستقبلها ، وموافقتها هى موافقة التابع وليس صاحب الأمر .

وإذا تزوجت ، ودخلت مؤسسة الأسرة كيف ستكون العلاقة بينها وبين الزوج ... كيف ستسير الأمور ومن المتصرف فيها .. ؟

تتحدث نصوص الجماعات الإسلامية عن تلك العلاقة وبلا أية مواربة على أنها علاقة رئيس ومرءوس ، فيقول « البهى الخولى » :ـــ

(إن قول الله سبحانه « وللرجال عليهن درجة » يجعل الرياسة للرجل لا للمرأة .. وذلك هومقتضى العقل وطبيعة الأشياء ومن مظاهر تلك الدرجة ، أو تلك الرياسة أن المرأة تتحول من بيت أهلها إلى بيت زوجها ، أى تتبعه فى الإقامة ومحل السكنى ، وليس لها أن تفرض عليه الإقامة فى بلد معين أو تلزمه السكن فى شارع خاص ، فذلك غير خاضع لتقديرها بل خاضع للظروف والعوامل التى تيسر له العمل وكسب الرزق ، وهى ظروف ترجع إلى تقديره هو لا إلى تقديرها هى .)*

إن النص السابق ليس فى حاجة إلى أى تعليق لأنه يحرمها حق المشاركة فى كل مايتعلق بالبيت ، ويقرر فى وضوح لا لبس فيه أن حق التقدير والتقرير مقصور على الزوج فقط ، ويكفى فى الحقيقة أن نجمع تلك النصوص بعضها إلى بعض لترسم صورة واضحة جلية لتلك المملكة التى يدعون النساء إليها ...

يقول « حسن البنا » فى معرض حديثه عن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة فى الأسرة :ـــ

(ولما كانت كل شركة تحتاج إلى مدير فى تصريف الأمور ، والشركاء ليسوا جميعاً

---

* أبو الأعلى المودودى ـــ حقوق الزوجين ص ٨٧

* البهى الخولى ـــ المرأة فى البيت والمجتمع ـــ المصدر السابق ص ٤٨

على مستوى واحد ، فقد حفظ الإسلام الإشراف للرجل ، لأنه أكمل عقلاً من المرأة .)*

ومن هنا يتم تقسيم الوظائف داخل مؤسسة الأسرة على الأساس التالى :ـــ

ـــ للزوج القوامة المطلقة .

ـــ وعلى الزوجة الطاعة المطلقة .

وهم يتحدثون عن سلسلة طويلة من الحقوق الرجالية :ـــ

ـــ فحق الرجل أن يعبر عن جميع رغباته .

وحقه أن يصدر الأوامر

وحقه أن يتصرف كيفما شاء فى كل شىء ، وحقه أن يحاسب الزوجة ويعاقبها إذا لزم الأمر . وحقه أن يتزوج عليها دون إذنها ، وحقه أن يطلقها إذا شاء .

أما الزوجة فليس أمامها إلا الطاعة دون أى نقاش وتلبية جميع رغباته الجنسية حتى ولو كان ذلك بإكراه نفسها على مالا تحب ... المهم أن ترضيه وتشبع جميع شهواته مع إهمال رغباتها هى ، أو بالأحرى كبتها وسحقها لأن رغباتها تدخل فى باب المحرمات لديهم . ويعبر النص الآتى عن تلك الفكرة بوضوح :ـــ

« حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها ولو كان على ظهر قتب « أى بعير » وأن لا تصوم يوماً واحداً إلا بإذنه إلا لفريضة ، فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها ، وألا تعطى من بيتها شيئاً إلا بإذنه ، فإن فعلت كان له الأجر وعليها الوزر ... ، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أوترجع ، وإن كان ظالماً .)*

أما جماعة شباب محمد ـــ المنشقة عن الإخوان المسلمين بعد خلاف مع « البنا » بسبب انفراده بالرأى والقرار ومحاباته لبعض أفراد الجماعة ودفاعه عن أخطائهم .*

فإن نصائحها تعكس الوجه المبدئى الذى تشبعت به أثناء تربيتها وسط الإخوان ،

---

* حسن البنا ـــ حديث الثلاثاء ـــ المصدر السابق ص ٣٨٢

* السيد سابق ـــ فقه السنة ـــ الجزء السابع

* لمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى كتاب محمود عبد الحليم ـ الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ .

ومن هنا فهم يضعون دستور سلوك المسلم فى البيت والمجتمع بصراحة لا تحتاج إلى تعليق ، ويأمرون الزوجة بما يلى :ـــ

(أطيعى زوجك طاعة مطلقة فيما لامعصية فيه ، وابتغى رضاءه واعملى على سروره وسعادته ...

ـــ احفظى زوجك فى نفسك ، فتزينى له مااستطعت إلى ذلك سبيلاً ، أقبلى عليه إذا حضر ، واستمعى له إذا تكلم ، **واطلبى رضاءه إذا غضب** .

لاتجادليه ولا ترفعى صوتك على صوته ولا تسفهى آراءه ولا تتعالى عليه بحسبٍ أو مال أو جمال .

ـــ احفظى زوجك بعد موته ، وترحمى عليه واذكريه بالخير ، والبسى الحداد عليه أربعة أشهر وعشرة أيام ، ولاتغادرى منزلك طيلة هذه المدة ، وتجنبى الزينة والطيب واخلفيه فى ولده وماله ، وكونى بعد موته كما كنت فى حياته .)*

وهكذا نرى إلى أى حد تتحول العلاقة إلى طاعة مطلقة لأوامره فى الدخول والخروج ، والقيام والقعود ، والحديث والصمت ، وتلبية رغباته الجنسية حتى ولو كان ظالماً ... !!!

ومن الغريب أن يصل حد التعنت بهم إلى تقرير أن الزوجة إذا أتت بسلوكٍ حسن دون إذنه يكون له الثواب ويكون عليها العقاب ... !!!

ويؤكد ابن تيمية على هذا المعنى بقوله :ـــ

(وللرجل عليها ـــ يقصد الزوجة ـــ أن يستمتع بها متى شاء مالم يضر بها أو يشغلها عن واجب فيجب عليها أن تمكنه لذلك ، ولا تخرج من منزله إلا بإذنه وإذن الشارع .)*

وفى كتاب آخر يؤكد ابن تيمية على نفس المعنى :ـــ

« وسئل شيخ الإسلام عن رجل له زوجة تصوم النهار وتقوم الليل وكلما دعاها

---

* شباب محمد ﷺ ـــ رسائل الدعوة ـــ دستور سلوك المسلم فى البيت والمجتمع ـــ الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م ص ٢٨

* ابن تيمية ـــ السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية تحقيق محمد إبراهيم البنا ـــ دار الشعب ص ١٧٧

الرجل إلى فراشه تأبى عليه ... فأجاب لايحل لها ذلك باتفاق المسلمين ، بل يجب عليها أن تطيعه إذا طلبها إلى الفراش . »*

وفى كل النصوص السابقة — وفى كثير أخرى غيرها — لانجد حديثاً عن رغبات الزوجة وإحساسها بنفسها أو إحساسها بالعلاقة الزوجية ، اللهم إلا من زاوية الهجوم على رغباتها والدعوة إلى ضرورة كبتها وعدم إطلاق العنان لشهواتها ، بل والقضاء على موضع الشهوة فيها ...

فلقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية « عن المرأة هل تختتن أم لا ؟ فأجاب :—

الحمد لله نعم تختتن وختانها أن تقطع أعلى الجلدة التى كعرف الديك ، قال رسول الله للخافضة — وهى الخاتنة .

أشمى ولاتنهكى ، فإنه أبهى للوجه ، وأحظى لها عند الزوج . يعنى لاتبالغى فى القطع ، وذلك أن المقصود بختان الرجل تطهره من النجاسة المحتقنة فى القلفة ، والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها ، فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة ، ولهذا يقال فى الشاتمة ياابن القلفاء ، فإن القلفاء تتطلع إلى الرجال أكثر ، ولهذا يوجد من الفواحش فى نساء التتر ونساء الإفرنج مالايوجد فى نساء المسلمين ، وإذا حصلت المبالغة فى الاختتان ، حصل المقصود باعتدال . »*

وعلى الرغم من أن العلم الحديث قد بين الأضرار الناتجة من ختان الإناث ، وأكد أنها عملية تعنى تحويل المرأة إلى إنسانة مخصية مما يؤثر على تكوينها النفسى والعصبى والفسيولوجى ، إلا أن الجماعات الإسلامية لازالت تطالب بإجراء تلك العملية حتى تظل النساء مجرد أوعية لرغبات الرجال الجنسية ، فتكرس بذلك للثنائية الكلاسيكية حيث المرأة تثير الرجل وهو يفرغ شهوته فيها ، ولذلك فهى ملعونة لأنها مثيرة ، وملعونة لأنها مرغوبة ، وملعونة لعنة لانهاية لها إذا فكرت فى التمرد وكسر مبدأ الطاعة : —

« إن النكاح نوع رق ، فهى رقيقة له ، فعليها طاعة الزوج مطلقاً »* .

---

* ابن تيمية — فتاوى النساء — مكتبة القرآن ص ٢٣١
* ابن تيمية — فتاوى النساء — المصدر السابق ص ١٢ .
* أبو حامد الغزالى — الزواج الإسلامى السعيد — المصدر السابق ص ١٠٩ .

« إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح . »*

فعليها أن تستجيب سواء رغبت فى الجماع أم لم ترغب وتطيع الرجل ظل الإله على الأرض : -

« لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، لعظم حقه عليها .. »*

وهكذا يتضح منطق الجماعات الإسلامية الذى يحكم طرفى العلاقة الزوجية ، حيث ترتفع قيمة أحد طرفى العلاقة إلى حد تنزيه جميع أفعاله ورغباته فى مقابل تبخيس الطرف الآخر والحط من قيمته ، فلا يكون أمام المرأة إلا الطاعة الجبرية والرضوخ الكامل ..

.. ولكن ماذا لو رفضت الزوجة مبدأ الطاعة المطلقة وعبرت عن مشاعرها فى لحظات معينة ... ؟

ماذا لو عبرت عما يناسبها وعما لا يناسبها من سلوك الزوج تجاهها .. ؟

يجيب علينا ابن تيمية ـ منظر الجماعات الإسلامية المستدعى من عصر المماليك ليصلح لنا حياتنا فى القرن العشرين بما يعنى أن عليها الطاعة وإلا فالعصا فى انتظار العاصية : -

(المرأة الصالحة هى التى تكون قانتة أى مداومة على طاعة زوجها ، فمتى امتنعت عن إجابته إلى الفراش كانت عاصية ناشزة ، وكان ذلك يبيح له ضربها كما قال الله تعالى **﴿ واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾**)*

ويؤكد « البهى الخولى » على ضرورة استخدام الزوج لأسلوب الهجر فى المضاجع والإعراض عن الزوجة وذلك إمعاناً فى ذلها من وجهة نظره : -

(يجب على الزوج أن يريها من نفسه تعالياً عليها واستمساكاً عنها .. وهو علاج

---

* السيد سابق ـ فقه السنة ـ الجزء السابع

* السيد سابق ـ المصدر السابق .

* ابن تيمية ـ فتاوى النساء ـ المصدر السابق ص ٣٣٢ .

رادع للمرأة ، مذل لكبريائها .)*

هذا فى نفس الوقت الذى يحذرون فيه المرأة من إبداء أى بادرة كبرياء أو ترفع عليه لأنها لو فعلت لصارت امرأة ناشزاً يحق له استخدام كل الوسائل لتأديبها ... ! ! !

وحينما يصل الأمر إلى دعوة المرأة للسجود للرجل الزوج ، وإلى دعوة الرجل لضرب الزوجة وإلى تعمد إذلالها ، يتضح جزء من صورة العلاقات الزوجية فى البيوت التى تقدمها الجماعات الإسلامية لنساء العصر الحديث ..

وربما يدعى البعض أن سلاحى الهجر والضرب ليسا من الأسلحة الشائعة الاستخدام ، وأن استخدامهما مقيد بشروط ... إلا أن تلك الروح تنطوى على محاولات تبريرية ساذجة لاتغير شيئاً من حقيقة العلاقة .. وخصوصاً فى ظل التفسيرات الواضحة التى قدمها كتاب الأخوات المسلمات فى تفسير آية ﴿ **واللاتى تخافون نشوزهن** ﴾ حيث يقول المؤلف ـ الذى شغل منصب سكرتير الأخوات المسلمات مدى الحياة كما رأينا من قبل : —

« إن المنهج الإسلامى لاينتظر حتى يقع النشوز فعلاً ، وتعلن راية العصيان وتسقط مهابة القوامة وتنقسم الأسرة إلى معسكرين متصارعين ، فالعلاج حين ينتهى الأمر إلى هذا الوضع قلما يجدى فلابد من المبادرة فى علاج مبادىء النشوز قبل استفحاله . »*

وهذا الوضع التهديدى الذى توضع فيه المرأة الزوجة بعد أن أداروا ظهرها للحائط ؟ وسلبوها كل الحقوق والحريات وأقنعوها أن الزوج هو السيد القوّام ...

فإما أن تطيع أو تنفجر فوهة بركان غضب الزوج وسخطه عليها ..

إما أن تطيع أو يستخدم ضدها كل مايملك من أسلحة الضرب والهجر والزواج بأخرى والطلاق أيضاً .

وإذا كان من حق الرجل أن يعبر عن غضبه عليها ، فليس من حقها مجرد التفكير فى إعلان التبرم أو الضيق ، وينصحها كُتّاب الجماعات الإسلامية بكتمان شعور الضيق دائماً حتى لو اضطرت إلى الكذب الصريح : —

« فى حوار لعمر مع زوجة ابن أبى عذرة الذى كانت تكرهه وأخبرته بكراهيتها

---

* البهى الخولى . المرأة بين البيت والمجتمع ـ المصدر السابق ص ٧١ .

* خيال ـ الجوهرى ـ الأخوات المسلمات ـ المصدر السابق ص ١٧٧

له ، قال عمر :- نعم فاكذبى ، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك ، فإن أقل البيوت الذى يبنى على الحب ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب . »*

وقد روى البخارى ومسلم عن أم كلثوم رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله يقول « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً ، وقالت ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس إلا فى ثلاث يعنى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها »

فهذا حديث صريح فى إباحة بعض الكذب للمصلحة .

إذن المصلحة بكل ما تعنى من أنانية وفردية وإعلاء للذات على حساب مصلحة الآخرين وذواتهم هى التى تبرر كذب الزوجة على زوجها وخداعها له ... فيقوم البيت على قاعدة من الزيف الواضح ، وإذا كان الزوج يستطيع إكراهها على مالا تحب ، فهى تملك حسب هذا المنطق ــ الضحك عليه وحرمانه من صفاء المشاعر الحقيقية حتى تحمى نفسها من التهديد المستمر فى كل الأوضاع وخصوصاً فى وضع التهديد بتعدد الزوجات وإدخال الضرائر من النساء على حياتها التى تتحول تدريجياً إلى جحيم : -

« فإحساس الزوجة بأن زوجها يمكن أن يتزوج عليها دون توقف على رضاها ودون أن يكون لها حق التفريق يجعلها تحسن معاملة الزوج خشية أن يجرب حظه مع أخرى ، أما إعطاء حق التفريق فى يدها فهو سيف مسلط على الرجال يخل بحقه فى القوامة عليها . »*

والنص واضح فى تبيين فكرة أن حق الرجل فى تعدد الزوجات دون رضى الزوجة الأولى ، هو سلاح مشهر فى وجه الزوجة لزرع المزيد من الخوف فى نفسها وقهرها على الطاعة والقنوت .

ولكن ماذا أعدت فتاوى الجماعات الإسلامية وقوانينها الصارمة من أجل الدفاع عن الزوجة التى ينشز زوجها .. أى الزوجة التى تسير على صراطهم المستقيم وتتبع كل تعاليم الطاعة والقنوت ومع ذلك ينشز الزوج ولا يبدى حيالها إلا التبرم والضيق ...

---

* السيد سابق ــ فقه السنة ــ الجزء السابع .
* خيال ــ الجوهرى ــ المصدر السابق ص ٣١٥ .

كيف تحصن تعاليمهم تلك الزوجة الصابرة ، وبماذا يسلحونها فى مواجهة ظلم الزوج وجبروته ... ؟

يجيب أحد كتابهم فى وضوح : -

(فلتستجمع المرأة كل حيلتها وذكائها ، ولتدرس أسباب نفوره فى تلطف وكياسة ولتعالج كل سبب بما يصلحه ، **ولا بأس أن تتقبل ما يكلفها ذلك من ألم نفسى ، أو جهد مالى أو نحوه بسماحة نفسٍ وطيبة خاطر ، فهى إنما تسعى لأسمى واجب تعتز به المرأة بعد عبادة الله عز وجل .**)*

فأى منطق هذا الذى يطالبها بمعالجة الهوان بأن تهين نفسها أكثر وأن تعالج ذله لها بمزيد من التذلل ...

آه .. من الصعب التعليق على نصوصهم هذه .. حيث تبلغ حداً من الوضوح المنفر بما يكفى ....

وإذا حاولنا أن نرى ركناً آخر من أركان الزواج الإسلامى السعيد التى يحددها أبو حامد الغزالى فى : -

(الولد - كسر الشهوة - تدبير المنزل - كثرة العشيرة - مجاهدة النفس بالقيام بهن .)*

فنجده يفيض فى سرد الحكايات عن سباق الحمل والولادة فيقول : -

(وماروى عن عمر أنه كان ينكح كثيراً ويقول إنما أنكح للولد ، وماورد من الأخبار فى مذمة المرأة العقيم : - قال عليه السلام :

« لحصيرٌ فى ناحية البيت خيرٌ من امرأة لاتلد » .

وقال :« خير نسائكم الولود الودود » .

وقال :« سوداء ولود خير من حسناء لاتلد »

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه (كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ، ثم يغتسل ويصلى ، وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه ، وروى أنه جامع

---

* البهى الخولى - المرأة بين البيت والمجتمع ص ٥٣ .

* أبو حامد الغزالى - المصدر السابق ص ٢٢ .

ثلاثاً من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الأخير)*

ويمتلىء الكتاب بأمثلة الصحابة الذين تزوجوا عشرات النساء ، وضاجعوا عشرات الجوارى وأنجبوا الكثير من الأبناء . والجماعات الإسلامية تحرص على إبراز هذا الجانب من سيرة الصحابة بشكل يؤكد أن : —

الزوجة فى كل الحالات تعامل على أنها مركز لامتصاص شهوة الزوج الجنسية ومعمل لتفريخ الأبناء وحضَّانة لرعايتهم ، وإذا كانت امرأة لاتلد بسبب عيب خِلْقى لم تصنعه هى ، فإن زوجها بالضرورة سوف يتزوج بأخرى تنجب له الكثير من الأبناء ، بينما تنتقل المرأة العقيم إلى هامش المملكة إلى منطقة الظل والإهمال تعانى الوحدة وعدم الاهتمام وربما تعانى من الضمور حتى الموت .

فالمودودى يؤكد على أن النساء خلقن من أجل الإنجاب : —

« فلم يخلق هيكلها الجسدى ـ يقصد المرأة ـ إلا ليقوم بخدمة النوع البشرى ويؤدى واجب الاستبقاء على وجوده فهو الهدف الرئيسى الذى قصدته الفطرة بخلقها وهو الواجب الذى تطالبها الفطرة بأدائه . »*

أما الدعاية الموزعة بين شباب الجامعات فهى تتحدث عن تلك الوظيفة فى سياق آلى وميكانيكى : —

« إن خط التقدم الإنسانى يسير فى اتجاه الضبط للنزوات الحيوانية ، وحصرها فى نطاق الأسرة على أساس الواجب لتؤدى بذلك وظيفة إنسانية ليست اللذة غايتها وإنما هى إعداد جيل إنسانى يخلف الجيل الحاضر . »*

وهكذا تصف تلك الدعاية موضوع العلاقة الجنسية بالنزوات الحيوانية ، وتدعو إلى ضبطه بمقاييس الواجب ، فتفرغ تلك العلاقات من معناها الإنسانى مما يوقعها فى المزيد من الحيوانية والميكانيكية . وتجد الزوجة ـ الملكة ـ نفسها محاطة بشروط واضحة فى مملكة الأسرة على طريقة الجماعات الإسلامية ، فهى يجب أن تكون وعاءً لشهوات الزوج الجنسية ، ومعملاً لتفريخ الأبناء وحفظ النوع ، وفى التحليل الأخير تختزل المرأة فى فكرهم إلى فَرْجٍ ورحم ...

---

* أبو حامد الغزالى ـ المصدر السابق ص ٢٢ .

* أبو الأعلى المودودى ـ حركة تحديد النسل ـ مؤسسة الرسالة ١٩٧٥ م ص ٨٠ .

* لجنة النشاط الثقافى والسياسى ـ المصدر السابق ص ١٩ .

وتلك المكانة العالية التى يتبوؤها الزوج فوق الزوجة يعترف المودودى أن الرجل ينالها « نظير المال الذى ينفقه فى صورة المهر ، فالمهر الذى يتفق عليه بين الرجل والمرأة عند الزواج لابد للرجل من أدائه والوفاء به ، فإن رفض دفعه ، حق للمرأة أن تمنع نفسها عنه .

والفرض الثانى على الزوج هو النفقة ، ولقد قسم القانون الإسلامى اختصاصات الزوجين تقسيماً واضحاً ، فالمرأة اختصاصها القرار فى البيت وأداء واجبات الحياة الزوجية « **وقرن فى بيوتكن** » أما الرجل فعليه كسب العيش وإعداد سبيل الحياة وضروراتها لأهله . »*

وفى هذا التحليل الموجز للمودودى نجد أن ثمن تمكين الزوج من قضاء شهوته الجنسية هو المهر ... وتمكينه من التحكم فى الزوجة والاستمتاع بطاعتها الدائمة هو النفقة ...

ومن يدفع أكثر يستطيع أن يخضع زوجته أكثر ... فتتحول العلاقات الخاصة إلى سوق يصول فيه أصحاب الدنانير الذهبية والعملات الأجنبية .

فيالها من مملكة تكون الغلبة فيها لمن يدفع أكثر ...

ويالها من ملكة يملكها الرجل لقاء الثمن المادى ... !!!

وفى مقابل تلك السيادة المادية للرجل فإنهم يؤكدون على ضرورة أن تظل المرأة تابعة للرجل على المستوى الاقتصادى بحجة أن :ـــ

« خيرها كامرأة يتطلب عدم مساواتها فى الاقتصاد بالرجل وبالتالى عدم استقلالها اقتصادياً فى مواجهة الرجل ، إذ استقلال المرأة اقتصادياً يعرضها لعدة أزمات نفسية ، يعرضها :

١ – لأزمة ضعف الإحساس بالأنوثة .

٢ – ولأزمة ضعف الإحساس كذلك بالأمومة .

٣ – لأزمة الشك والتراخى فى العلاقة الزوجية إن كانت زوجة .

٤ – ولأزمة العزلة كلما تقدم بها السن ولم توفق إلى زوج أو إلى ولد يشاركها الحياة .

---

* أبو الأعلى المودودى ـــ حقوق الزوجين تعريب أحمد إدريس ـــ مكتبة القرآن ص ٢٨

وأمر المرأة إذن ـــ أية إمرأة ـ يتردد بين وضعين :ـــ وضع تستقل فيه اقتصادياً وتتساوى فيه مع الرجل ولا تضمن فيه مع استقلالها واحتفاظها بأنوثتها وأمومتها وحسن علاقتها بزوجها ، ووضع آخر يتكفل الرجل فيه بالإنفاق عليها ، مع ضمان احتفاظها كامرأة بما لها من خصائص تميزها عن الرجل .»* .

وهكذا يضعون الاستقلال والمساواة بما تعنى تلك الكلمات من شعور بالثقة فى الذات وسعة فى الأفق وقدرة على العطاء بحرية واختيار ، فى تضاد مع الإحساس بالأمومة والأنوثة وحسن العلاقة بالزوج ... !!!

ولكن لماذا لاتكون العلاقة الزوجية حسنة ـــ فى نظرهم ـــ إلا إذا كانت الزوجة هى الطرف الضعيف ... المحتاج ... الأدنى دائماً ؟

ـــ أليس من الطبيعى أن تعاشر المرأة الرجل لصفاته الجميلة ونفسه الراقية ... ؟ وأن يعاشر الرجل المرأة لنفس الصفات ... ؟

ـــ لماذا تعتبر الجماعات الإسلامية الوضع غير الصحى صحيحاً وتقنن له ؟

ـــ وهل من العدل أن تضيف هذه الجماعات إلى كل القيود التى تكبل المرأة ، قيداً أكبر يتمثل فى عدم الاستقلال الاقتصادى ؟

ـــ أم أن هذا هو السلاح الذى يطعنونها به ليقضوا على أية محاولة للمقاومة ؟

يبدو أن المزعج فى موضوع الاستقلال الاقتصادى للمرأة بالنسبة للجماعات الإسلامية يكمن فى أن تجرب المرأة نفسها ككائن كامل ، لا كنصف إنسان يعتمد على الرجال دائماً ... فالقضية ليست قضية كم من الأموال تملك المرأة ، فربما تملك ثروة كبيرة ، وربما تملك بعض الجنيهات ، ولكن المعنى وراء تأكيدهم على ضرورة نفى استقلالها الاقتصادى يكمن فيما يترتب على الاستقلال من شعور بالذات ومطالبة بالحقوق الكاملة والندية والمساواة مع الرجل ...

وهذا هو مايعبر عنه « خيال » فى كتابه الأخوات المسلمات بقوله :ـــ

أولاً : استقلال المرأة استقلالاً اقتصادياً يجعلها قادرة على عدم الارتباط بالرجل أباً كان أم زوجاً أم أخاً ارتباط نفقة وكفالة .

---

* د . محمد البهى ـــ الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ـــ دار الاعتصام سلسلة المرأة المسلمة رقم ٤

ثانياً : هذا الاستقلال الاقتصادى يفتح لها باب التحرر على مصراعيه بلا حدود ولا ضوابط ، ويحقق لها حرية الزواج بلا ولى إن رغبت فى الزواج ، وحرية الصداقة إن آثرت علاقة الصداقة . »*

وبمعنى آخر إن الأمر لدى الجماعات الإسلامية هو نصيحة بسيطة إلى الرجل :ـ انزع عن المرأة استقلالها الاقتصادى تنزع بذلك حريتها فى الاختيار فتصبح امرأتك المطيعة ، والنصيحة التى يوجهونها إلى المرأة :ــ

« وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية هى الجمال والاستسلام واللطف والسكينة والاتكال والخجل والبكاء ، لعلك تظنينها أسلحة ضعيفة .. ولكن أؤكد لك أنها إذا أشحذتها الحمية والأمانة كانت ماضية جداً . »*

أما إذا رفضت المرأة هذا الوضع وتمردت عليه ، وراحت تبحث عن الخلاص فستجد أن الطلاق حق الرجل يستخدمه وقتما شاء وحتى لو لم يستخدمه فإنه يظل يدخره كاحتياطى يهدد به الزوجة إذا لم تطعه وتنفذ رغباته .

وإذا كانت عاقراً يطلقها ، وإذا مرضت يحق له تطليقها وإذا لم يكن هناك أى سبب سوى هواه فى فراقها فيحق له أيضاً تطليقها .

أما الزوجة فليس أمامها سوى سبيل واحد للخلاص من وضع الزوجية الذى لا تطيقه وهو الخلع ، وله شروط تقضى بأن ترد الزوجة إلى زوجها ما ساق إليها من مال يقول ابن تيمية :ــ

« الخلع الذى جاء به الكتاب والسنة أن تكون المرأة كارهة للزوج تريد فراقه فتعطيه الصداق أو بعضه فداء نفسها كما يفتدى الأسير . »*

ويقول محمد الغزالى :ــ

« عندما تطلب الزوجة الفراق ، فيجب أن ترد إلى زوجها ما ساق إليها من مال ، ومن الحيف أن يدفع الرجل المهر ويرسل الهدايا ثم تستولى المرأة على كل هذا وتطلب الانفصال . »* ولا يخفى على أحد أن شرط دفع المرأة للرجل ما ساق إليها من مال ،

---

* خيال ــ الجوهرى ــ الأخوات المسلمات ــ المصدر السابق ص ٢٨٥
* عبد المتعال محمد الجبرى ــ المرأة فى التصور الإسلامى ــ مكتبة وهبة ص ٨٤
* ابن تيمية ــ فتاوى النساء ــ المصدر السابق ص ٢٣٤
* محمد الغزالى ــ سؤال عن الإسلام ــ الجزء الثانى ص ٢٤٥

هو شرط يعجز النساء عن استخدامه فى الغالب الأعم من الحالات ، فى ظل ظروف وضع المرأة داخل هذا النسق الأيديولوجى للجماعات الإسلامية ، لأن ماساق إليها من أموال وهدايا وخلافه لا يكون بين يدى الزوجة ، فالأب هو الذى يقبض المهر وغالباً مايكون قد تم تبديده .

وفى الغالب أيضاً لا تملك الزوجة مورداً آخر للمال يمكن أن تفتدى به نفسها ، فتظل بقية عمرها تعيش حياة تكرهها وتعاشر رجلاً لا تطيقه .. رجلاً يتحسس جيبه دائماً ليحسب بالمليم ماأنفق عليها ، وكأننا أمام « فيلم عربى » هزيل تبكى فيه الزوجة من أجل حريتها .. ويتلذذ الرجل بمشاهدة أحزانها ثم يسألها فى صفاقة كم تدفعين لقاء الطلاق ... ؟ فإذا لم تستطع الدفع تعيش ذليلة .. مكسورة بين جدران البيت الذى صورته لها دعاية الجماعات الإسلامية على أنه مملكتها وهى ملكته المتوجة .

وحتى إذا كان لدى الزوجة المال الذى يمكن أن تدفعه للرجل لقاء الخلع ، فإن أدبيات الجماعات الإسلامية تضع حول عنقها قيداً آخر وهو قيد موافقة الزوج على قبول هذا المال ، فتعود الكرة مرة أخرى إلى ملعب الرجل ، وتدخل المرأة فى سلسلة طويلة من المفاوضات والمهاترات والشقاء اليومى .

« لا يكفى للافتداء مجرد رغبة المفتدية ، إنما يتم هذا الأمر حين يرضى أخذ الفدية بذلك ، يعنى أن المرأة لا تستطيع أن تفصل نفسها عن زوجها بمجرد إعطائه قدرا من المال ، ولكن لابد لتمام الانفصال من قبول الزوج هذا المال ، ثم طلاقه لها . »*

وهكذا نجد أنه حتى تلك الثغرة التى يمكن أن تكون مفتاح المرأة للخلاص تلغى عملياً بتفريغها من محتواها ، ليعود الأمر ملكاً للرجل الزوج يقرر فيه ماتشاء إرادته ...

« وماكان يمكن تخويل سلطة الطلاق للمرأة إذ لو خولت هذه السلطة فسوف تتشجع على إضاعة حقوق الرجل وطبيعى أن من يحصل على شىء بأمواله سيحاول الاحتفاظ به إلى أقصى حد ، وسوف يتركه فحسب حيث لا يكون أمامه سبيل آخر سوى تركه ، أما إذا كان المنفق شخصاً ومن بيده سلطة الإضاعة شخصاً آخر غيره ، فنادراً مايتوقع من الثانى أن يراعى عند استخدامه سلطاته مصلحة الأول بذل المال

---

* أبو الأعلى المودودى ــ حقوق الزوجين ــ المصدر السابق ص ٥٣

وأنفقه ، فتخويل الرجل سلطة الطلاق ليس فقط حماية لحق المشروع بل يحوى فى مصلحة مضمرة هى ألا يكثر الطلاق . »*

هذا ماتفصح عنه بوضوح أفكارهم : الحرية كل الحرية للرجل فى استخدام حق الطلاق ، فى مقابل عقبات متتالية تلغى عملياً إمكانية استخدام حق الخلع بالنسبة للمرأة .

ومن هنا فإن أى محاولة لإنصاف وضع المرأة حتى ولو كانت بإعطاء فتات الحقوق لها ، فإنها تعتبر النقيض لأفكارهم وتحارب بمنتهى العنف والضراوة كما حدث حينما صدر القانون رقم ٤٤ للأحوال الشخصية الصادر عام ١٩٧٩ م الذى اعتبر الجمع بين الزوجات من قبيل إيذاء الزوجة الأولى وأعطاها حق طلب التفريق بناء على ذلك .

كما أعطاها حق الاحتفاظ بمسكن الزوجية إذا كانت حاضنة ، وهذه البنود لا تمثل فى الحقيقة تغييراً جذرياً فى قوانين الأحوال الشخصية ، فهى لم تمنع التعدد مثلاً ، إلا أن الجماعات الإسلامية قد اعتبرت هذا التعديل انقلاباً خطيراً فى موازين العلاقات الشخصية وكفراً وخروجاً على الشريعة .

وفى الحقيقة إن حملة الجماعات الإسلامية الشعواء على قانون عام ٧٩ ، ومحاربتها لفتات الحقوق التى كفلها للزوجة المتضررة ، كان أحد الأسس الهامة التى قامت عليها دعايتهم للتنديد بالقوانين الحالية ومطالبتهم بتطبيق الشريعة الإسلامية ، ففى الجامعة قام إتحاد طلاب مصر الذى تسيطر عليه الجماعة الإسلامية بطبع رد الشيخ محمد أبو زهرة على مشروع قانون الأسرة ، واشتركت دار الجهاد ودار الاعتصام فى توزيعه على أوسع نطاق ممكن داخل الجامعة وخارجها ، وكان المحور الأساسى الذى يقوم عليه رد الشيخ هو :ـــ

« أن الطلاق يقع بإرادة الزوج فقط . »

ووقف النائب صلاح أبو إسماعيل فى مجلس الشعب ليعلن أن من أسباب رفضه للقانون الجديد « أن النبى لم يعتبر من الكذب أن يكذب الزوج على الزوجة ليرضيها ولا كذب الرجل فى الحرب فالحرب خدعة » مبرراً بذلك كذب الرجل على زوجته عند زواجه من أخرى .

---

* أبو الأعلى المودودى ـــ حقوق الزوجين ص ٤٣

ثم عاد وأعلن فى شهادته أثناء قضية الجهاد أن :ـ

« المشروع رأى اعتبار الجمع من قبيل إيذاء الزوجة أو الزوجات القائم زواجهن فعلاً ، فأعطاها وأعطاهن الحق فى طلب التفريق إذا أخفى الزوج وقت الزواج الجديد أنه متزوج »

ونص القانون على أن يعتبر إضراراً بالزوجة الأولى اقتران زوجها بأخرى وأباحوا لها أن تطلب الطلاق ولو رفض زوجها ولم يلقوا بالاً إلى أن طلاق المكره لا يقع فضلاً عن طلاق هذا القانون الجائر .. »*

وأعلن الدكتور عمر عبد الرحمن أمام المحكمة فى نفس القضية أن النظام القانونى الحالى الذى يرفض تعدد الزوجات ويعتبر أن الطلاق ظلم للمرأة ، كفر .

وتكرر على لسان الأعضاء الرئيسيين فى تنظيم الجهاد أن أحد الأسباب الرئيسية التى دفعتهم إلى اغتيال الرئيس السادات هو قيامه بتعديل قانون الأحوال الشخصية . (يلاحظ الدكتور فؤاد زكريا فى تعليقه على هذا الموقف أن جماعة الجهاد اغتالت السادات بسبب محاسنه القليلة وليس لمساوئه الكثيرة .)*

كما يلاحظ أن « التعديلات التى أدخلت على قانون الأحوال الشخصية والتى أقامتهم ولم تقعدهم ، كانت تعديلات طفيفة جداً يظل إطارها العام إسلامياً بحتاً ، وكل مافى الأمر أنها تصرفت قليلاً فى تفسير بعض النصوص المتعلقة بالطلاق والتعدد وبيت الطاعة من أجل إعطاء مزيد من الحقوق للمرأة ، فكان هذا فى نظر الجماعة كفراً أو خروجاً على شريعة الله . »

إنهم يعتبرون محاولة الزوجة لتخليص نفسها من الظلم الواقع عليها بزواج الرجل من أخرى هو ظلم ... !!

وأن القانون جائر حينما يفتح لها ثغرة للخلاص .. !!!

وهم يعتبرون من العادى والطبيعى أن يملك الرجل العديد من النساء بالزواج بصرف النظر عن تحطيم مشاعر الزوجة ، بعد وضعها فى موضع التنافس مع أخرى ، مما يقلب حياتها إلى صراع دائم من أجل توافه الأمور . وهم ينصحون المرأة بقبول هذا

---

* صلاح أبو إسماعيل ـ الشهادة ـ ص ٨٧

* فؤاد زكريا ـ الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة ـ دار الفكر .

الوضع بادعاء أن فيه خيرها ، وينصحونها أن تسحق مشاعرها وتمثل دور السعادة الدائمة وتقبل شروط التنافس بإبراز المفاتن الحسية ، وبقدر ماتبذل جسدها له بقدر مايرضى عنها .

« كونى عاهرة لزوجك »*

فى مقابل نصيحتهم للرجل « بأن يسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة ويتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن كيدهن عظيم ، وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة . »*

وهكذا نجحت حملتهم ضد قانون الأحوال الشخصية الصادر عام ٧٩ التى هى هجوم على حقوق المرأة وإجهاض لأى محاولة تحسين ولو شكلى فى وضعها .

« إن الحركة الإسلامية معضدة بمواقف الكثيرين من علماء الدين والسياسة الحاكمين والمعارضين نجحت دعائياً فى تركيز الأضواء على مضمون القانون الذى احتوى بنوداً تعد أكثر تعبيراً عن الموقف المتحرر إزاء حقوق المرأة منها عن الموقف الإسلامى المحافظ فى هذا الشأن . وقد استجابت الحكومة والبرلمان لهذا الاتجاه وعاودت مناقشة مضمون القانون بحيث خلصت إلى قانون يقترب خطوة من مطالب الحركة الإسلامية . »*

نعم لقد كشفت معركة قانون الأحوال الشخصية عدداً من الحقائق :ـ

١ ـ أن الجماعات الإسلامية بمختلف تياراتها ضد أى محاولة للمساواة بين الزوج والزوجة حتى ولو كانت محاولة شكلية . وإنها تحارب بكل ماتملك من قوة لإسناد المزيد من الحقوق للرجال ، وأنها تتخذ من موضوع الهجوم على قانون الأحوال الشخصية السابق سلاحاً للهجوم على جميع القوانين المدنية .

٢ ـ أن موقف الدولة إزاء قوانين الأحوال الشخصية يخضع للتذبذب ولحسابات موازين القوى الاجتماعية حتى أن إلغاء قانون ٧٩ واستبداله بآخر كان إجراء سريعاً ووقائياً قامت به لأجل امتصاص غضب الجماعات الإسلامية والمزايدة على حملتها

---

* جملة تتردد كثيرا فى خطب الجماعات الإسلامية كما لاحظها الدكتور فؤاد زكريا وعلق عليها فى بحثه المقدم إلى جمعية المرأة العربية فى مؤتمرها الأول .

* أبو حامد الغزالى ـ الزواج الإسلامى السعيد ـ المصدر السابق ص ٨٠

* التقرير السياسى لمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام عام ١٩٨٦ م .

الدّعائية ، حيث أعلنت الصحف الحكومية بفخر أن « الموافقة على مشروع قانون الأحوال الشخصية قد تمت بإجماع الآراء ... وتشرق وجوه السيدات أعضاء المجلس وتعلو الابتسامة العريضة وجوههن ... وأكاد أحس أن بعضهن يردن إطلاق الزغاريد لولا جلال الموقف وينتزع الدكتور أحمد هيكل إعجاب سيدات المجلس وهو يقول إن العدل فى الزواج ليس فى أن تقسم الرغيف بين الزوجتين .. إن العدل فى الإسلام هو تحقيق الكفاية والعدالة . »

ولا يخفى على أحد أن الكفاية هنا هى كفاية الرجل ، والعدالة هى عدالة مصالحه ، وهكذا تعجب سيدات مجلس الشعب بمن يفتح باب ظلم الزوجة على مصراعيه ، ويزغردن من أجل تمرير قانون يدفع بآلاف النساء إلى الشوارع بعد طلاقهن ، ويمنح الرجل مزيداً من حقوق الزواج وحريات الطلاق . حتى أن رئيس مجلس الشعب يعلن بلا خجل « الزواج نحن لا نقيده وليس الزواج بأخرى ضرراً فى ذاته وإنما هو يشتمل على مظنة الضرر . »*

٣ ــ كما كشفت معركة قانون الأحوال الشخصية أن قوى المعارضة الرسمية كانت من التخاذل والضعف وعدم الاهتمام بحقوق المرأة ووضعها الاجتماعى بحيث يعلن زعيم المعارضة الممثل لحزب الوفد فى ذلك الحين ممتاز نصار « أنه باسم الهيئة الوفدية يقر المشروع الجديد » . « وأن القانون الحالى راعى الثغرات وصححها تماماً على خلاف القرار بقانون الذى أسقطته المحكمة الدستورية وأهم شىء هو الزواج الثانى . »*

أما إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل فيجد فى تلك القضية مجالاً خصباً للمزايدة وركوب التيار المناهض لحقوق المرأة فيطالب « بتطبيق القانون الجديد بأثر رجعى اعتباراً من عام ٧٩ »* حتى يمحو أى أثر للقانون السابق الذى أنصف الزوجة المتضررة من زواج رجلها بأخرى .

أما حزب التجمع الذى لم يكن ممثلاً فى المجلس فقد اكتفى بالشجب والإدانة للقانون الجديد ــ كما هى عادته ــ على صفحات الجريدة الناطقة باسمه .

---

* الأهرام ــ مجلس الشعب يوافق بالإجماع على قانون الأحوال الشخصية ٨٥/٧/١

* الأهرام ــ المصدر السابق

* إبراهيم شكرى ــ محاضر مجلس الشعب ــ دورة ١٩٨٥ ــ الأهرام ٨٥/٧/١ ص ٦ مجلس الشعب يوافق بالإجماع على قانون الأحوال الشخصية .

٤ ــ أما فلول الحركة النسائية وبقاياها المتشرذمة فجاءت مواقفها الإصلاحية وتصريحاتها تعبيراً عن حالة الهزال والضعف التى تعانى منها الحركة بوجه عام . وبرغم عقد عدد من الندوات بجمعية هدى شعراوى ونادى أعضاء هيئة التدريس وصدور عدد من البيانات والمقالات التى تناقش القانون الجديد وعلاقته بحركة تحرير المرأة ، إلا أنها لم تستطع أن تحدث ضغطاً اجتماعياً أو تجتذب الجمهور العريض من النساء الواقع عليهن ضرر قوانين الأحوال الشخصية .

وإذا كان موقف حركة تحرير المرأة والعلمانيين إزاء أفكار الجماعات الإسلامية الخاصة بوضع المرأة المعاصرة ، وكيفية تصديهم لتلك الأفكار بوجه عام يحتاج إلى دراسة مستقلة تكشف وجوه الضعف والقصور فى فهم الظاهرة وتجلياتها الاجتماعية .

إلا أن مايجب التأكيد عليه هنا أن الحركة لم تستطع الالتحام بجماهير النساء أصحاب المصلحة والقضية ، وظل الأمر مقصوراً على قطاع من المثقفات اللاتى اكتفين بعقد عدد من المؤتمرات وإرسال برقيات احتجاج لمجلس الشعب ورئاسة الوزراء والجمهورية وكتابة بعض المقالات المتفرقة حول الموضوع على صفحات جرائد المعارضة إلى آخر تلك الطرق الإصلاحية التى لم تستطع التصدى لحملة الجماعات الإسلامية وأفكارها التى هاجمت بشدة عقر كل دار ، واستهدفت بوضوح القضاء على فتات الحقوق التى كان يكفلها قانون عام ١٩٧٩ م ، وتحويل كل زوجة إلى **رقيقة** مطيع للزوج صاحب السيادة والقوامة حسب قانون عام ١٩٨٥ م المفصل بما يطابق وجهة نظر الجماعات الإسلامية .

الفصل الخامس

امرأة ومسيحية وفقيرة ...

طوبى لكِ

إذا كان هذا هو وضع المرأة المسلمة فى تصور الجماعات الإسلامية فكيف سيكون وضع المرأة المسيحية التى تعتبر وفق نسقهم الأيديولوجى عنصراً مضطهداً داخل جماعة مضطهدة ... ؟

إن المسيحيين فى الدولة الإسلامية ليسوا بمواطنين متساوين فى كل الحقوق والواجبات مع المسلمين ، بل هم أهل ذمة أو ذميون تفرض عليهم الجزية وتضاعف لهم الضرائب التجارية حسب إرادة الحاكم وهواه .

بالإضافة إلى حرمانهم من الحقوق السياسية كحق التصويت والترشيح والانتخاب فى المجالس النيابية والبرلمانية ، لأنها حسب تصور الجماعات الإسلامية مجالس شورى يجب أن تظل مقصورة على المسلمين فقط ... ، كما يحرم أهل الذمة أيضاً من الاشتراك فى رئاسة الحكومة وتقلد الوظائف السياسية .. ، وهذا الوضع الشديد العنصرية يفرض عليهم انطواء الأقلية الضعيفة ــ الأمر الذى يحتاج إلى دراسة مستقلة لوضع جموع المسيحيين من الرجال والنساء ، تكشف عن هذا الجانب العنصرى فى فكر الجماعات الإسلامية ــ .

ومايعنينا الآن هو وضع المرأة المسيحية فى هذا النسق الأيديولوجى ...

فإذا اتضح بوجه عام أن المرأة المسلمة تحتل مكانة تالية لمكانة الرجل المسلم ، فإن الرجل المسيحى سوف يأتى وضعه بعد المرأة المسلمة ... ثم تأتى المرأة المسيحية فى نهاية هذا السلم الاجتماعى الذى سيكون الترتيب فيه كالآتى :ــ

١ ــ رجل مسلم

٢ ــ امرأة مسلمة

٣ ــ رجل مسيحى

٤ ــ امرأة مسيحية

فالرجل بما يملك من عناصر ذكورية مفضل على المرأة بوجه عام فى تصورهم ، والمرأة المسلمة مفضلة على الرجل المسيحى بمقتضى تمييزهم بين البشر على أساس الدين ...

وبذلك تخضع المرأة المسيحية لتمييز قهرى ومضاعف لا يسمح لها بأى حديث عن الحقوق الاجتماعية .

هذا على صعيد الترتيبية الجنسية والدينية ، تبقى ترتيبية ثالثة وهامة لديهم ، وتكون على أساس الوضع الطبقى أو مايسمونه هم بالغنى والفقر فى العموم .

فيحتل المسلم الغنى مكانة اجتماعية أعلى من المسلم الفقير ...

والمسلمة الغنية مكانة أعلى من المسلمة الفقيرة ...

والمسيحى الغنى مكانة أعلى من المسيحى الفقير ...

والمسيحية الغنية مكانة أعلى من المسيحية الفقيرة ...

فتتكون بذلك صورة شديدة التمييز العنصرى والدينى والطبقى للبشر ... فإذا ما اجتمعت صفات امرأة ومسيحية وفقيرة فى إنسانة ، فلنا أن نتخيل مدى الهوان الذى ستعانيه فى الدولة التى تحكمها الجماعات الإسلامية .

ولنا أن نتخيل مدى إعجاب جمهور الجماعات الإسلامية من شباب وشابات البرجوازية الصغيرة بتلك الأفكار العنصرية ــ الآن ــ وإقبالهم على الكتب التى تطالب بضرورة عودة التمييز بين المرأة المسلمة والمرأة المسيحية :ــ

« كان من شروط المسلمين الأولين على أهل الذمة أن تكشف نساؤهم عن سوقهن وأرجلهن لكى لا يتشبهن بالمسلمات ..

فانظر كيف تغير الحال وانعكس الأمر حتى صارت المسلمات يتباهين بالتشبه بمن كن يمنعن من التشبه بالمسلمات بالكشف عن سوقهن وعما هو أكثر من ذلك ... » *

إن الكاتب يتحسر على زمان التمييز ويقدمه كما لو كان الفردوس المفقود مطالباً بعودته ... يهاجم المساواة ويعتبرها أمراً شاذاً ، يطالب بالتمييز بين النساء المارات فى

* محمد ناصر الدين الألبانى ــ حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة الطبعة الخامسة ــ المكتب الإسلامى ص ٣٧

الشوارع والقاطنات البيوت بحيث يسهل تجنب المسلمة وإيذاء المسيحية بشتى أنواع المضايقات .

فالمرأة المسلمة التى يجب أن ترتدى الحجاب أو النقاب من وجهة نظر الجماعات الإسلامية ، يجب أن تكشف قرينتها المسيحية عن ساقيها كإحدى وسائل التمييز والتفرقة العنصرية .

هذا عن المظهر الخارجى ، فماذا عن التفرقة فى العمل ؟

ـــ ماذا ينتظر المرأة المسيحية خريجة الجامعة :ـــ هل يمكن أن تفتح لها شركة توظيف أموال أو بنك إسلامى أو حتى متجر إسلامى أبوابه لتعمل فيه ؟

ـــ ماذا ينتظر المرأة العاملة المسيحية وليس لديها ماتملكه سوى قوة عملها التى ستبذل منها أضعافاً مضاعفة فى مصانع الرأسمالى المسلم أو فى ممتلكاته الأخرى ...

إن الجماعات الإسلامية تتذكر مرة أخرى اليوم موقف عمر بن الخطاب من الزواج بالكتابيات .. ، حينما عمل على التفريق بين الصحابة وبين زوجاتهم من الكتابيات ، ويتخذونه كنموذج يجب الإقتداء به . ويقرون أن الزواج بالكتابيات (وإن كان جائزاً إلا أنه مكروه .)*

ويجب أن تعيش المسيحيات ضمن جماعتهن القليلة العدد والحقوق ...

أما إذا ماتت مسيحية بالقتل على يد مسلم ، فإن الجماعات الإسلامية تناقش موضوع ديتها ضمن قضية الدية ، وتقرر لها دية دونية ضئيلة تكاد لاتشكل عقوبة رادعة على هذا السيد المسلم الذى قتل مجرد كتابية « مسيحية » .

وفى ذلك نوع من العنصرية تبيح دم الآخرين دونما ثمن ... !!!

وبشكل عام يقررون أن دية أهل الكتاب إذا قتلوا خطأً تكون نصف دية القتيل المسلم .. ..

(دية الذكر منهم ـــ يقصد أهل الكتاب ـــ نصف دية المسلم ، ودية المرأة من نسائهم نصف دية المرأة المسلمة .)* ، ونصف النصف هو الربع ... بمعنى أن دية

---

* السيد سابق ـ فقه السنة ـ الجزء العاشر ص ٢٣٤

* المصدر السابق ـــ ص ٢٣٤

المرأة المسيحية حسب القاعدة السابقة هى ربع دية الرجل المسلم دون لزوم الكفارة ...

فيالاستهانتهم بتلك الدماء ...

وإذا كانوا يعتقدون أن عقل أهل الكتاب نصف عقل المسلم ، فإن عملية بسيطة للقياس تدلنا على أن عقل المرأة المسيحية لا يساوى عندهم إلا ربع عقل الرجل المسلم وربما أقل ... ، بسبب معاييرهم العنصرية التى ترى كل ماهو كامل وجميل فى الرجل المسلم محور المجتمع وصاحب السيادة فيه مع انخفاض شأن كل ماعداه بشكل تدريجى — كما رأينا من قبل حتى نصل إلى أدنى السلم الاجتماعى والذى تسكنه النساء المسيحيات إنهم يعجبون بفتوى ابن تيمية :—

(عن امرأة نصرانية بعلها مسلم توفيت وفى بطنها جنين له سبعة أشهر ، فهل تدفن مع المسلمين أو مع النصارى ؟ فأجاب لا تدفن فى مقابر المسلمين ، ولا مقابر النصارى لأنه اجتمع مسلم وكافر ، فلا يدفن الكافر مع المسلم ، ولا المسلم مع الكافر ، بل تدفن منفردة ، ويجعل ظهرها إلى القبلة ، لأن وجه الطفل إلى ظهرها ، فإذا دفنت كذلك كان وجه الصبى المسلم مستقبل القبلة ، والطفل يكون مسلماً بإسلام أبيه ، وإن كانت أمه كافرة باتفاق العلماء .)*

فأى مجتمع هذا الذى يجلس علماؤه لمناقشة موضوع : أين تدفن المرأة المسيحية ؟

أى مجتمع هذا الذى يقضى بأن تنبذ تلك المرأة ويستهان بجسدها حتى فى حالة الوفاة ، فيتأففون من أن يجاور جسدها أجساد السادة المسلمين ... ويستكبرون أن يجاور جنينها الذى بداخلها القلة المضطهدة من المسيحيين ... ؟؟

○ ○ ○

من هذه الزاوية العنصرية نستطيع أن نفهم الآن معنى الهجوم الضارى الذى شنته الجماعات الإسلامية بالذات على المسيحيات من رائدات حركة تحرير المرأة ...

نستطيع أن نفهم لماذا يضاعف الهجوم علي « إستر ويصا واصف » فهى لم تكن امرأة شاركت فى الحركة النسائية فقط ، بل هى مسيحية تطمح إلى المساواة بالمسلمات وإلى المساواة بالرجال المسلمين ...

---

* ابن تيمية — فتاوى النساء .المصدر السابق ص ٥٥

ووجودها ضمن حركة تحرير المرأة يسهل لدعايتهم مهمة قذف الحركة النسائية برمتها بأبشع القذائف ، لأنها تساوى بين هؤلاء النساء والمسلمات بل وتطالب بأن يتساوين مع الرجال .

إن إستر ويصا واصف ــ ومن خلفها تاريخ الحركة النسائية ــ تذهب إلى أبعد حدود الضلال فى نظرهم لأنها وقفت على رأس أول اجتماع كبير للجنة الوفد المركزية للسيدات ، والذى عقد فى الكنيسة المرقصية فى ٨ يناير ١٩٢٠ م أمام حوالى ألف سيدة مسلمة ومسيحية تطالب بضرورة العمل على انتزاع حق المرأة فى كل المجالات وعلى رأسها المجال السياسى ، والمساواة بين الجنسين حتى فى النضال ضد المحتل الانجليزى ..

ثم تخرج على رأس المظاهرات النسائية من أجل الضغط على الحكومة .

واستمرت إحدى مظاهراتهن أياماً ولم يجرؤ أحد أن يقف فى طريقها .)*

أستطيع أن أفهم الآن لماذا شددوا الهجوم على مقالات روزا أنطوان وبولا العلايلى وغيرهما من المسيحيات اللاتى شاركن فى الدفاع عن حقوق النساء .

وفكر الجماعات الإسلامية الذى يهاجم المرأة المسيحية ــ من كل الطبقات ــ ويطالب بأن يكشفن عن رءوسهن وأقدامهن كعلامة تمييز واضطهاد وليس كعلامة حرية ....

وأن يحرمن من التساوى فى الحقوق السياسية والاجتماعية ، وألا يتاح لهن فرص التعليم والعمل المتساوى ، هو الذى يجعلنا نتساءل كيف ستدافع المرأة المسيحية عن نفسها ، وبدرجة أعلى: كيف ستدافع المسيحية الفقيرة عن نفسها فى مجتمع يشحذ حماسه العنصرى ضدها تحت لافتة الدولة الإسلامية ... ؟

لشد ما يزيد القلق حينما نسمع عن تفجر الاضطهاد فى أسيوط والمنيا ، ومن قبل الزاوية الحمراء والخانكة ... تلك المناطق التى شهدت بروفات سريعة لعنف الجماعات الإسلامية ضد الأقباط بوجه عام ... فماذ عن القبطيات إذا ما استولت تلك الجماعات على السلطة ... ؟

طوبى لهن جميعاً .. ..

---

* د . لطيفة سالم ـ المرأة المصرية والتغيير الاجتماعى ـ المصدر السابق

الفصل السادس

أسواق جديدة للجوارى

الجارية والخوف من المجهول الذى ينتظرها ... والنخاس بصوته الغليظ ينادى على جمالها ... والسيد المشترى بعيونه الجاحظة وجيوبه المنتفخة بالمال يقلب المرأة البضاعة ويلوى شفتيه تعبيراً عن الرفض أو يبتسم نصف ابتسامة ليدارى إعجابه حتى لا يبذل الكثير من المال ، لكن حيلته الساذجة تنكشف أمام خبرة ودهاء النخاس الذى يطالب جاريته دائماً بإبراز المزيد من المفاتن ... وتظل المساومات دائرة على جسدها للبحث عمن يدفع أكثر ...

تلك الصورة القديمة القميئة التى انقرضت من تاريخ العالم منذ أكثر من مائة عام هل يمكن أن تعود مرة أخرى ؟

هل يمكن أن تتحول المرأة التى عاشت الاستقلال أو فكرت فيه ... المرأة التى خرجت إلى الحياة فتعلمت وحصلت على الشهادات وتقلدت الوظائف ...

المرأة التى لمست بعقلها وروحها ويديها حقيقة إنسانيتها ...

هل يمكن أن تتحول إلى سلعة فى سوق الرقيق مرة أخرى ... ؟

أكاد لا أصدق أن هذا الحديث يدور ولو سراً فى نهاية القرن العشرين ـــ وبعد مرور زمن طويل على صدور وثيقة حقوق الإنسان ، فكيف ومناقشته علناً على صفحات الكتب وأمام القضاء ...

وليس المقصود هنا الرق بمعناه النفسى أو المعنوى ، والذى يكاد أن يكون حقيقة لا تقبل النقاش وتحكم العلاقة بين الرجل والمرأة ...

ليس المقصود هنا المعنى التبعى فى العلاقة الذى يجعل الزوجة جارية لزوجها ... والذى عبرت عنه الجماعات الإسلامية بإلحاحها فى استخدام الحديث القائل :ـــ

(يأأيها الناس اتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً فإنهن عندكم عَوانٍ (أسيرات) لا يملكن لأنفسهن شيئاً .) .

ولكن المقصود هو ذلك الجانب التشريعي والحقوقى الذى يدور حول مبدأ « وماملكت أيمانكم »

المقصود هو الرق الجسدى الذى يتعامل مع صدور وأرداف النساء كمادة للبيع والشراء ...

الرق الذى يبغى الاستيلاء على نساء الجانب المهزوم فى الحرب ...

الرق الذى يحفظ لنا التاريخ الكثير من صوره المخزية بخطف النساء وسرقتهن بالإكراه وإذلالهن وسوقهن كما تساق الماشية لعرضهن فى أسواق النخاسة ...

إن أفكاراً غريبة تثيرها الجماعات الإسلامية بين ثنايا كتاباتها ومواقفها وتحاول أن تقدمها فى شكل دعائى طنان وديماجوجى .. ليس من أجل تبزير التاريخ القديم بكل ماحمله من سلبيات ونوازع عدوانية فقط ، بل وتمرير تلك الأفكار الشاذة إلى عقل الجمهور الآن ...

يقول أبو الأعلى المودودى الذى تقدمه الجماعات الإسلامية بأنه (زعيم شعبى وخطيب مفوه يستثير عزائم الجماهير ويستنهض هممهم ويستجيش مشاعرهم ...) يقول بصدد الحديث عن موضوع الرق :ـــ

(إن إباحة التمتع بناء على حق الملكية واردة فى غير واحدة من آى القرآن الحكيم بصراحة متناهية ... وإستعباد أسرى الحرب وبيعهم وشراؤهم كان ومازال رائجاً فى الدنيا منذ قديم الزمان إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى ، ارجعوا بنظركم قليلاً إلى ماقبل بضعة قرون وافرضوا أن الحرب قائمة بين المسلمين وأمة أجنبية ، ويصيب المسلمون فيها آلافاً من نساء هذه الأمة وفيهن عدد كبير من النساء الجميلات والشابات ...

أما العدو فلا يستنقذهن بدفع الفدية ، ولا يبادلهن بما قد أصاب من نساء المسلمين ، فلا يستطيعون أن يسرحوهن مناً عليهن ...

فقولوا لى الآن ماذا ينبغى أن نصنع بهذا العدد العظيم من نساء العدو الداخلات فى دار الإسلام ؟

أما حبسهن بصفة دائمة فهو ظلم ، وأما تخلية سبيلهن فى دار الإسلام فكأنه نشر لجراثيم الخلاعة والمجون والفسق والفجور فى الدولة ، لأن الأضرار الخلقية لابد أن تنشأ

بهن حيثما وضعن فى الدولة فيفسد المجتمع من جانب وتوصم جباههن بالعار والذل إلى الأبد ...

من جانب آخر فهى مشكلة شائكة يعالجها الإسلام بتوزيعهن بين أفراد الأمة ــ جعل التمتع بناء على ملك اليمين من حق الرجال وماجعله من حق النساء .)*

فيالها من زاوية مثيرة للخيال التى يبرر بها المودودى بشاعة الرق ... زاوية تخاطب لدى الجمهور المهزوم كل نوازع الانتقام الشرس .. إنه يستثير فى عقول سامعيه صورة الآلاف من نساء العدو .. ثم يركز أكثر على النساء الجميلات الشابات وسط هذه الآلاف من اللحم الأبيض ...

وحينما يسيل لعاب الرجال المستمعين ــ بعد أن سال لعاب الخطيب ــ فإنه يستخدم منطقا متهافتا للوصول إلى هدفه ، وهو تحبيب فكرة الرق وإبرازها على أنها منتهى العدل والحكمة ... فحبس هؤلاء النساء ظلم من وجهة نظره ... لأن تلك الأجساد الجميلة الشابة حرام أن تحبس ، وإنما يجب أن يستمتع بها الرجال ، بما يؤكد التصور السائد لدى الجماعات الإسلامية الذى لا يرى فى المرأة إنسانا كامل الإنسانية ويقف على قدم المساواة مع الرجل ، بل على أنها كتلة من اللحم تثير المشاعر الجنسية ويجب أن تصب فيها الشهوة الجنسية ...

وإذا كانت تخلية سبيل الأسيرات نشرا لجرائم الخلاعة والمجون والفسق والفجور فى الدولة .. فإن الشيخ يقترح حلاً أعجب ، فهو يقترح توزيع هؤلاء الجميلات على أفراد الأمة ، فكأنه يخشى على الشوارع مثلاً من وجودهن فيها ، ولكنه فى نفس الوقت يمكنهن من الوجود والانتشار والتمركز فى عصب تلك الأمة .. فى بيوتها ...

ولكن على الجماهير ألا تدع خيالها يذهب بعيداً فأجمل الحسان والبيض الغزلان سوف يكن من نصيب شيوخ الأمة وزعمائها المفوهين ، والأقل جمالاً سوف يكن من نصيب رجال الصف الثانى وهكذا ، فالأمر ليس مباحاً للجميع فى هذا النسق الأيديولوجى ، والتاريخ لا يذكر أن فرداً من جمهور الفقراء امتلك جارية من نساء العدو أو من غيرهن ، ولكنه يذكر دائماً أن جمهور الفقراء هذا كان جسم الجيش وأداة الحرب التى حققت رغبات السادة الزعماء .

إن المودودى يقاتل فى القضية السابقة أى محاولة لتحريم الرق ، ويتصدى لأى

---

* أبو الأعلى المودودى ــ الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ــ دار القلم ص ٨١

محاولة تجميل لهذا الحكم ، فيوجه نقداً قاسياً لكاتب حاول أن ينفى شبهة الرق عن الإسلام بقوله : « فهل بإمكان الكاتب الفاضل أن يشير إلى حكم من أحكام القرآن قد ألغى كل أنواع الرق إلغاء قاطعاً بالنسبة للمستقبل ؟ والإجابة بالتأكيد لا . »*

إذن فطالما أنه ليس هناك نص يلغى هذا الحكم فهو يطالب باستمراره الآن وفى المستقبل ... !!!

أما وثيقة حقوق الإنسان وغيرها من المواثيق فلا تعنى المودودى وغيره من زعماء الجماعات الإسلامية ومنظريهم لأنها وببساطة تتعارض مع مصالحهم وأمانيهم فى امتلاك الجوارى الحسان اللاتى سيعاملن على أنهن أجساد للهو ومستفرغات للشهوة الجنسية بصرف النظر عن أى قيمة إنسانية .

وهذا رمز آخر من رموز الجماعات الإسلامية وهو الشيخ صلاح أبو إسماعيل يدافع عن عودة الرق فى شهادته أمام القضاء بقوله :ـــ

« جعلت مدخلى إلى الحديث عن الرق وحكم الإسلام فيه بأن ذكرت « الأنبا شنوده » والحاضرين بالمرأة الإسرائيلية التى ضربت بقذائف طائراتها مدرسة بحر البقر وقتلت أطفالنا وأصابت هدفاً مدنياً ثم أسقطتها المدفعية المصرية فهبطت بالبراشوت ووقعت أسيرة فى أيدينا ، فما حكم الإسلام فيها وهل هو عدل أم ظلم ؟

إن الإسلام يبيح لجماعة المسلمين أن يروا رأيهم فى مصير هذه الأسيرة على مفترق طرق أربع على ضوء مصلحة الإسلام والمسلمين :ـــ

١ ـــ فلهم أن يطلقوا سراحها بلا مقابل .

٢ ـــ أو بمقابل كتبادل الأسرى .

٣ ـــ ولهم أن يضربوا عنقها وهى بلا شك تستحق ذلك .

٤ ـــ ولهم أن يتخذوها أمة رقيقة ـــ وهى بلا شك ـــ تستحق ذلك .)*

ونلاحظ أن تفضيلات الشيخ اتضحت فى ضرب العنق أو فى كونها تصبح أمة رقيقة بعد أن تقرر جماعة المسلمين من الرجال أصحاب المصلحة أى الحلَّين يختارون .

---

* أبو الأعلى المودودى ـــ الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ـــ المصدر السابق ص ٦٤

* صلاح أبو إسماعيل ـــ الشهادة ـــ شهادة الشيخ صلاح أبو إسماعيل فى قضية تنظيم الجهاد ـــ دار الاعتصام . ص ٧٨

وصلاح أبو إسماعيل يستخدم فى حديثه السابق نفس طريقة ومنطق المودودى العنصرى الذى يتكشف هنا فى رده على « الأنبا شنودة » ـــ وهو رمز مسيحى ـــ يجسد صراع الجماعات الإسلامية مع الأقليات فى المجتمع المصرى ، ثم يكشف عن الطريقة الديماجوجية التى تستخدمها الجماعات الإسلامية عند الحديث عن أى قضية حساسة ، وخصوصاً قضية المرأة والرق ، ولكن الطريقة أو مهارة الخطيب اللفظية لاتستطيع إخفاء عيوب كثيرة ناتجة عن ضحالة الأفكار نفسها ...

ويذهب الشيخ صلاح أبو إسماعيل مع فكرة رق النساء إلى حد الاستفاضة فى شرح آليات كيفية تحول المرأة إلى جارية ـــ كل هذا أمام هيئة محكمة عصرية ، وبحجة الدفاع عن مشروعية القتل والذبح والامتلاك فيقول :ـــ

فإذا صارت أمة رقيقة فإنها تؤول إلى ملك رجل بعينه بحكم الشرع الشريف ولمالكها أن يستبرئها بحيضة ليتيقن براءة رحمها من أن يكون مشغولاً بحمل من غيره .

فإن لم تكن حاملاً يعاشرها معاشرة الأزواج بملك اليمين فإن حملت منه ووضعت فقد صارت أم ولد هو أبوه ، فإن مات سيدها ورثه ولدها منه . ولما كانت أم هذا الولد من ممتلكات أبيه فسوف تؤول ملكيتها إلى الوارث الجديد وهو ولدها ، والإنسان لايملك أصله ولافرعه . وبذلك تتحرر بحكم الشرع حيث يرث ملكيتها ولدها . »*

فأى منطق هذا الذى يدور حول الأفكار ويلوى عنقها لتثبت عكس ماتعنيه ... ؟

أى منطق هذا الذى يتحدث فى البداية عن عدالة تحويل هذه المرأة إلى رقيق يمتلكه الرجال ... ؟

ثم عدالة وضعها وهى جارية ... ؟

ثم عدالة تحويلها إلى إرث يتركه السيد بعد وفاته ... ؟

ثم عدالة أن يصير أمرها إلى الورثة ... ؟

ثم عدالة حصولها على الحرية بعد هذا المشوار الطويل ... ؟

لماذا كل هذا العناء وقد كانت المرأة حرة منذ البداية لايملكها إنسان آخر ... ؟

---

* صلاح أبو إسماعيل ـــ الشهادة ـــ المصدر السابق ص ٧٨

أكل ذلك من أجل تحليل طرق استمتاع الرجل بأكبر كمية ممكنة من النساء وتغذية روح الملكية لديه ... ؟

لنعود نسمع عن فلان الذى يمتلك عشرات الجوارى ، وفلان الذى يتسابق مع الآخرين على ملكية الأجمل من النساء إلى آخر تلك المهازل التاريخية .

والغريب أن هؤلاء الدعاة الإسلاميين يتعاملون مع فكرة الرق وكأنها حق لا يقبل النقاش .. فهم يذهبون فى تفسير فروعه كتفسير مظهر الجارية وملابسها ووضعها فى العلاقة الجنسية مع مالكها ، وتحديد الفرق بينها وبين الحرة فى تلك الأوضاع كما فى كتاب حجاب المرأة ولباسها فى الصلاة – وهو من كتب التراث التى أعادت الجماعات طباعتها من جديد : –

« والحجاب مختص بالحرائر دون الإماء ، كما كانت سنة المؤمنين فى زمن النبى « ﷺ » وخلفائه ، أن الحرة تحتجب والأمة تبرز ، وكان عمر رضى الله عنه إذا رأى أمة مختمرة ضربها وقال أتتشبهين بالحرائر أى لكاع !

فيظهر من الأمة رأسها ويداها ووجهها . »*

ويؤكد على نفس المعنى فى موضع آخر : –

« وقد كانت الإماء على عهد الصحابة يمشين فى الطرقات متكشفات الرءوس ويخدمن الرجال مع سلامة القلوب » .

ثم يقول فى الهامش : –

« كأنه يشير إلى ماروا‌ه البيهقى عن أنس قال : –

كن إماء عمر رضى الله عنه يخدمننا كاشفات عن شعورهن ، تضطرب ثديهن . وسنده جيد . »*

ومع التمييز بين الحرة والأمة فى المظهر ، فإن متن النصوص يكشف عن كيفية استغلال أجساد الإماء نفسها .. حيث نجد الكثير من الفروق فى المعاملات ، فعلى سبيل المثال نجد فكر الجماعات الإسلامية يهاجم تحديد النسل ويهاجم كل طرقه

---

* شيخ الإسلام ابن تيمية – حجاب المرأة ولباسها فى الصلاة – تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى – المكتب الإسلامى ص ٣٧ .

* ابن تيمية – المصدر السابق ص ٤٣ .

ووسائله ومنها وسيلة العزل التى يعترف أبو الأعلى المودودى أنها وسيلة غير إنسانية وتحدث الكثير من الأضرار السيئة فى نفسية المرأة وتكوينها ، إلا أنه لا يرى ضرراً فى استخدامه مع الجوارى : —

« فلابد أن تكون النتيجة لاتخاذ تدابيره الصناعية أن ينشأ التوتر فى نظام المرأة الجسمانى ويلازمها ــ شيئاً فشيئاً ــ القلق والاضطراب والتبرم والضجر ، لأنها عندما لا تشبع غريزتها الجنسية ، فإن علاقتها بزوجها يعتريها ــ ولابد ــ الشذوذ والانزعاج . وقد شوهدت هذه النتائج بصفة خاصة فى الذين يختارون طريق العزل لمنع الحمل . »*

وهكذا فهو يهاجم بوضوح أسلوب العزل لما له من آثار خطيرة على المرأة ، وبرغم ذلك يحلل استخدامه فى وضع الجوارى فهو يقول : —

(إن العزل وهو إحدى الوسائل المستخدمة فى تحديد النسل كان يستخدم فى حالات بعينها وهى : —

١ — خشية أن تحمل الأمة « الجارية » .

٢ — خشية أن تستحق الأمة إقامة دائمة إذا صارت أم ولد .)*

ولكن أليس استخدام أجساد هؤلاء النسوة فى الأغراض الجنسية مع حرمانهن من كل الحقوق حتى حق المرأة فى أن تصبح أماً ، أو حقها فى الاستمتاع بالعلاقة مع الرجل ، هو أشد أنواع الدعارة والعهر وأشدها رخصاً وأشدها ابتذالاً وأشدها إذلالاً لإنسانية المرأة ...

إن الجماعات الإسلامية التى تدعى فى مواضع أخرى أنها تبغى القضاء على الدعارة قضاء تاماً .. تفتح لها باباً واسعاً ولكنه باب خاص بالسادة أصحاب النفوذ فى دولتهم ...

إن حديثهم عن الرق فى النصوص السابقة وفى مواضع أخرى إلى جانب أنه يشحذ الروح العنصرية لدى جمهورهم الساخط حتى يسهل توجيهها بعد ذلك الوجهة التى يريدون ، فهو يحمل أيضاً إمكانية إحداث أنواع ودرجات من التفريق بين الناس ،

---

* أبو الأعلى المودودى ــ حركة تحديد النسل ــ مؤسسة الرسالة ١٩٧٥م ص ٨١

* المصدر السابق ــ أبو الأعلى المودودى ــ حركة تحديد النسل ص ١٤١

يكون تحقيقها مرهوناً بمدى قوة الجماعات الإسلامية وصعودها إلى السلطة ... وبمدى وعى الجمهور أو غياب وعيه ...

إن سيناريو العبودية التاريخى السابق يمكن أن يأخذ أشكالاً جديدة ترتكن على قاعدة قبول المبدأ ... قبول التفرقة .. قبول الاستبداد وخصوصاً ضد النساء فهل ننتبه إلى حقيقة هذا الخطر الصاعد .. أم نتركه حتى نفاجأ به يطبق علينا نحن النساء المعاصرات كل تصوراته السابقة ؟

مصادر الأحاديث النبوية الشريفة

أولا : أحاديث شريفة ذكرت بالكتاب وبتحقيقها تبين أنها وردت فى الصحاح الثمانية (البخارى ـ مسلم ـ أبو داود ـ ابن ماجه ـ النسائى ـ الترمذى ـ مالك ـ أحمد بن حنبل)

١ - « المرأة تأتى على صورة شيطان .. فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذى معها »

أخرجه أبو داود فى النكاح : ٤٢ ـ وتكملته « فإنه يضمر ما فى نفسه »

٢ - « استوصوا بالنساء خيرا ... » إلخ

أخرجه البخارى فى الأنبياء : ١ ، وفى النكاح : ٨٠ . ومسلم فى الرضاع : ٦٢ . والترمذى فى الرضاع : ١١ ، وفى تفسير سورة ٩ : ٢ . وابن ماجه فى النكاح: ٣ .

٣ - « النساء ناقصات عقل ودين »

أخرجه البخارى فى الحيض : ١٦ ، وفى الزكاة : ٤٤ . ومسلم فى الإيمان : ١٣٢ . وأبو داود فى السنة : ١٥ . والترمذى فى الإيمان : ٦ . وابن ماجه فى الفتن : ١٩ . وأحمد فى ٢ : ٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

٤ - « إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها » .

أخرجه أحمد فى ٦ : ١٩ : ٧٧ .

٥ - « استأخرن فإنه ليس لَكُن أن تَحْقُقْنَ الطريق.... » اخ .

أخرجه أبو داود فى الأدب : ١٦٨

٦ - « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »

أخرجه البخارى فى المغازى : ٨٢ ، وفى الفتن : ١٨ . والترمذى فى الفتن : ٧٥ . والنسائى فى القضاة: ٨ .

٧ - « الأيم أحق بنفسها من وليها »

أخرجه أبو داود فى النكاح : ٢٥ . والترمذى فى النكاح : ١٨ . وابن ماجه فى النكاح : ١١ . والدارمى فى النكاح : ١٣ . ومالك فى النكاح : ٤ . وأحمد فى ١ : ٢١٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤ ، ٣٤٥ ، ٢٣٥ ، ٣٦٢ .

٨ - « لا تنكح البكر حتى تستأذن »

أخرجه البخارى فى الحيل : ١١ ، وفى النكاح : ٤١ ، وفى الإكراه : ٣ . ومسلم فى النكاح : ٦٤ ، ٦٦ - ٦٨ . وأبو داود فى النكاح : ٢٣ ، ٢٥ . والترمذى فى النكاح : ١٨ . والنسائى فى النكاح : ٣١ . وابن ماجه فى النكاح : ١١ . والدارمى فى النكاح : ١٣ . ومالك فى النكاح : ٤ . وأحمد فى ١ : ٢١٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، وفى ٢ : ٩٧ ، ٢٢٩ .

٩ - « حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها ولو كان على ظهر قتب .... » إلخ

أخرجه ابن ماجه فى النكاح : ٤ . وأحمد فى ٤ : ٣٨١

١٠ -« أشمى ولا تنهكى ، فإنه أبهى للوجه ، وأحظى لها عند الزوج »

أخرجه أبو داود فى الأدب : ١٦٧

١١ -« إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه ..... » إلخ

أخرجه البخارى فى بدء الخلق : ٧ . وأبو داود فى النكاح : ٤٠ . والترمذى فى الرضاع : ١٠

١٢ -« لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد .... » إلخ .

أخرجه ابن ماجه فى النكاح : ٤ وأحمد فى ٤ : ٣٨١ ، وفى ٦ : ٧٦

١٣ -« ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس .... » إلخ .

أخرجه البخارى فى الصلح : ٢ . ومسلم فى البر : ١٠١ والترمذى فى البر : ٢٦ . وأحمد فى ٦ : ٤٠٣ .

١٤ -« خير نسائكم الولود الودود »

أخرجه أبو داود فى النكاح : ٣ . والنسائى فى النكاح : ١١ وأحمد فى ٣ : ١٥٨ ، ٢٤٥ .

١٥ –« يا أيها الناس اتقوا الله فى النساء ..... » إلخ .

أخرجه أبو داود فى المناسك : ٥٦ . وابن ماجه فى المناسك : ٨٤ . والدارمى فى المناسك : ٣٤ . وأحمد فى ٥ :٧٢ .

* * *

ثانيا : أحاديث ذكرت بالكتاب وبتحقيقها تبين أنها لم ترد فى الصحاح الثمانية : (البخارى ـ مسلم ـ أبو داود ـ ابن ماجه ـ النسائى ـ الترمذى ـ مالك ـ أحمد ابن حنبل)

١ – « النساء سفهاء إلا التى أطاعت زوجها »

٢ – حديث وافدة النساء .

٣ – « إياك والخلوة بالنساء .... » إلخ .

٤ – « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد ... » إلخ .

٥ – « يافاطمة أى شيء خير للمرأة ؟ .... » إلخ

٦ – « لحصير فى ركن البيت خير من امرأة لاتلد »

٧ – حديث رجل يشكو الفقر .. فيقول له الرسول ﷺ تزوج

٨ – « إن النكاح نوع رق ... » إلخ

٩ – « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد »

١٠ – « كن إماء عمر – رضى الله عنه ـ يخدمننا كاشفات عن شعورهن ـ تضطرب ثديهن »

١١ – « للمرأة عشر عورات .... » إلخ

ولنا تعليق :

هذه الأحاديث رغم أنها لاترقى إلى درجة الأحاديث الصحيحة الواردة فى الصحاح الثمانية إلا أن الجماعات الإسلامية تعول عليها ويجرى استخدامها كثيراً والاعتماد عليها فى أدبياتهم بل يعمدون إلى الإلحاح عليها بما يحمله بعضها من تكثيف مشاعر العداء والغضب ضد المرأة .

قائمة المراجـــع

- أبو الأعلى المودودى ـ تفسير سورة النور :
- أبو الأعلى المودودى ـ حقوق الزوجين ـ تعريب أحمد إدريس مكتبة القرآن .
- أبو الأعلى المودودى ـ حقوق أهل الذمة فى الإسلام ـ كتاب المختار ـ سلسلة نحو طلائع إسلامية واعية .
- إبراهيم النعمة ـ العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع .
- ابن تيمية ـ شيخ الإسلام ـ فتاوى النساء ـ مكتبة القرآن .
- ابن تيمية ـ أبى العباس أحمد ـ السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ـ تحقيق محمد إبراهيم البنا ـ دار الشعب .
- البهى الخولى ـ المرأة بين البيت والمجتمع ـ من رسائل الإخوان المسلمين ـ مطابع دار الكتاب العربى بمصر ـ ١٩٥٣ م .
- أبو حامد الغزالى ـ الزواج الإسلامى السعيد ـ تحقيق محمد عثمان الخشت ـ مكتبة القرآن .
- إقبال بركة ـ تأثير الفكر العربى المعاصر على حركة المرأة ـ بحث مقدم إلى المؤتمر الأول لجمعية تضامن المرأة العربية .
- أمين عز الدين ـ تاريخ الطبقة العاملة المصرية ١٩١٩ - ١٩٢٩ م الجزء الثانى دار الشعب ـ من الثورة الوطنية إلى الأزمة الاقتصادية .
- آمال كامل بيومى السبكى ـ الحركة النسائية فى مصر ما بين الثورتين ١٩١٩ و ١٩٥٢ م ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .
- حسن البنا ـ أصول دعوة الإخوان المسلمين ـ الرسائل الثلاث للإمام الشهيد حسن البنا ـ دار الشهاب .
- حسن البنا ـ حديث الثلاثاء ـ سجلها وأعدها محمد عيسى عاشور ـ مكتبة القرآن .
- حسن البنا وآخرون ـ المرأة المسلمة ـ خرج أحاديثه وراجعه محمد ناصر الدين الألبانى ـ دار الكتب السلفية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ .
- حسن البنا ـ مذكرات الدعوة والداعية للإمام الشهيد حسن البنا دار التوزيع والنشر الإسلامية .

ـ رفعت السعيد ـ حسن البنا ـ مؤسس جماعة الإخوان المسلمين متى ـ كيف ـ لماذا ؟ دار الثقافة الجديدة .
ـ زينب الغزالى ـ أيام من حياتى ـ دار الشروق .
ـ السيد سابق ـ فقه السنة ـ الجزءان السابع والعاشر .
ـ سيد قطب ـ السلام العالمى والإسلام .
ـ صلاح أبو إسماعيل ـ الشهادة ـ شهادة الشيخ فى قضية تنظيم الجهاد ـ دار الاعتصام .
ـ عمر عبد الرحمن ـ كلمة حق ـ دار الاعتصام .
ـ فؤاد زكريا ـ الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة ـ دار الفكر للدراسات والنشر .
ـ محمد البوطى ـ إلى كل فتاة تؤمن بالله .
ـ محمد على قطب ـ بيعة النساء للنبى ﷺ مكتبة القرآن .
ـ محمد على قطب ـ الحب والجنس من منظور إسلامى ـ مكتبة القرآن .
ـ محمد البهى ـ الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة دار الاعتصام ـ سلسلة المرأة المسلمة .
ـ محمد عبد الحكيم خيال ـ محمود محمد الجوهرى ـ الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ـ دار الدعوة .
ـ محمد الغزالى ـ سؤال عن الإسلام ـ الجزء الثانى ـ دار ثابت .
ـ محمود عبد الحليم ـ الإخوان المسلمون ـ أحداث صنعت التاريخ ـ دار الدعوة ـ الجزء الأول رؤية من الداخل ١٩٨٣ م .
ـ محمد متولى الشعراوى ـ المرأة المسلمة والطريق إلى الله ـ مكتبة القرآن .
ـ د . محمد أنيس دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ م الجزء الأول المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ـ الطبعة الأولى ١٩٦٣ م .
ـ شباب محمد ـ ﷺ ـ رسائل الدعوة دستور سلوك المسلم فى البيت والمجتمع ـ الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
ـ شباب محمد ـ ﷺ ـ رسائل الدعوة ـ الشريعة الإسلامية والأجانب فى الإسلام شرعيا ووضعياً وتاريخياً ـ محمد عطية خميس .
ـ متى ميخائيل ـ عرائس فى المولد ـ دراسات حول المرأة العربية ـ ترجمة محمد عوض خميس ـ دار العربى ١٩٨٧ م .

- محيازيتون ـ نحو أساس موضوعى لتقييم دور المرأة العربية فى النشاط الاقتصادى ـ بحث مقدم إلى المؤتمر الأول لجمعية تضامن المرأة العربية من ١ - ٣ سبتمبر ١٩٨٦ م .
- ليفين (ز ـ إ) تطور الفكر الاجتماعى العربى ١٩١٧ - ١٩٤٥ ترجمة د. أنور محمد إبراهيم ـ دار العلم الجديد ـ القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .
- لجنة النشاط الثقافى والسياسى بكلية الطب البشرى جامعة الأسكندرية ـ الاختلاط بين الجنسين فى نظر الإسلام .
- د. لطيفة محمد سالم ـ المرأة المصرية والتغيير الاجتماعى ١٩١٩ - ١٩٤٥ ـ سلسلة مصر النهضة ـ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصرة ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م .
- نعمت صدقى ـ التبرج ـ سلسلة المرأة المسلمة دار الاعتصام .
- د. نبيل راغب ـ هدى شعراوى وعصر التنوير ـ سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٢ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ م .
- طه سعد عثمان ـ مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر ـ الكتاب الثانى ـ مكتبة مدبولى ١٩٨٢ م .

دوريــات

- الأهرام ـ مجلس الشعب يوافق بالإجماع على قانون الأحوال الشخصية ـ ١٩٨٥/٧/١ م .
- الأهرام ـ حديث تسجيلى ـ مواجهة ساخنة مع رئيس شركة توظيف أموال إسلامية ١٩٨٧/٢/١١ م .
- الشعب ـ ١٩٨٧/٣/٣١ م ـ الصفحة التاسعة .
- مجلة أكتوبر ـ ٣ يناير ١٩٨٨ م .
- مجلة الحوادث ـ العدد ١٥٤٣ ـ الجمعة ٣٠ مايو ١٩٨٦ م .
- مجلة المصور ـ العدد ٣٢٣٠ ـ ١٩٨٦/٩/٥ م .
- مجلة الدعوة ـ العدد الخمسون السنة الثلاثون ٤٢٤ يوليو ١٩٨٠ م .
- مجلة المرأة الجديدة ـ يوليو ١٩٨٦ م ـ العدد ٢ .

محتويات الكتـــاب

رقم الإيداع ٢٤٧٤/ ١٩٨٩

مطابع الأهرام التجارية القاهرة - مصر

سناء المصري

خلف الحجاب

في دار الحكمة ، مقر نقابة أطباء مصر ، والتي تحولت إلى معقل للجماعات الإسلامية ، انعقدت ذات مساء من عام ١٩٨٦ الندوة التي دعت إليها النقابة تحت عنوان « الإسلام والعلمانية » حيث دُعي للحديث الشيخ الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي مع الدكتور فؤاد زكريا .

ومن بين الآلاف من جمهور الجماعات الإسلامية الذين احتشدوا في محاولة لاستعراض القوة .. ورغم دكتاتورية منظمي الندوة .. حاولت الكاتبة « سناء المصري » التساؤل : ماذا عن وضع المرأة .. وماذا عن وضع المسيحيين .. ماذا عن وضع الأقليات في المجتمع الذي تدعو إليه الجماعات ؟

وكانت تلك اللحظة كما يقول الدكتور فؤاد زكريا في تعليقه على الندوة بمجلة المصور [أشد اللحظات حرجاً .. وكانت الندوة على وشك أن تنقلب إلى معركة دامية وأخذ الكثيرون يصرخون مطالبين إياها بالسكوت . وأغمى على أحدهم لأنه لا يستطيع الاستمرار في سماعها ولا يستطيع في الوقت ذاته أن يفتك بها] .

وكانت تلك اللحظة بالنسبة للكاتبة التي خرجت من القاعة بأعجوبة بداية التفكير والعكوف على دراسة هذا الموضوع الأقليات في فكر الجماعات الإسلامية .. وكان موضوع المرأة لما يحظى به من أهتمام في فكر الجماعات ذاتها ـ أول إنجا...





مطابع الأهرام التجارية القاهرة ـ مصر